عالميّة الإسلام

ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء



الشيخ
عبد الوهاب عبد السلام طويلة

الدكتور
محمد أمين شاكر حلواني

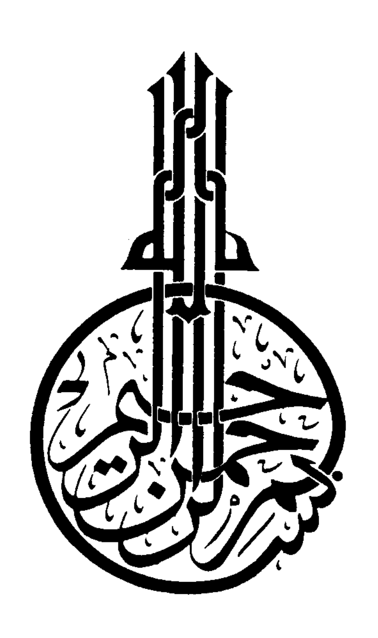
دار القلم
دمشق



الشيخ
عبد الوهاب عبد السلام طويلة

الدكتور
محمد أمين شاكر حلواني




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة وتقديم

الحمد لله رب العالمين، خالقِ الأكوان والعوالم ومبدعها، واجبِ الوجود، «ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير»، متصف بكل كمال، منزّه عن أي نقصان، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفطره على الحقِّ، وزينه بالعقل، خلقه لعبادته، وهو غني عنه وعنها، ثم أودعه على ظهر الأرض مدة محددة ليبلوه فيما آتاه، وهو علّام الغيوب.

والعقل وحده كافٍ في الاستدلال على وجود الخالق ومعرفة بعض صفاته، بل إن الإنسان ليتجه إلى الله بفطرته، ويحب كل طيب، وينفر من كل خبيث، غير أن العقل ربما يزيغ، والفطرة قد تفسد، بتأثير عوامل كثيرة متنوعة، منها غلبة الأهواء، وتأثير المجتمعات، والإعجاب بالنفس، وتقليد الأسلاف، وغير ذلك. فلئلا يكون للناس على الله حجة، أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ليُقوِّموا انحراف العقل، ويصحِّحوا، فساد الفطرة، ويُرشدوا الناس إلى الطريق المثلى لعبادة الله. أضف إلى ذلك أن ثمة أموراً غيبية، نحن قادمون عليها لا محالة، كالبعث بعد الموت، والحشر والحساب، والجنة أو النار، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

والإنسان لا يستطيع بالعقل وحده أَنْ يصل إلى معرفة تلك الأمور؛ لأن الحواس التي زوَّده الله بها، لا تدرك إلا عالم الشهادة، أما عالم الغيب ـ وهو أعظم وأرحب ـ فلا سبيل إلى معرفته بصورة كافية، إلا عن

طريق النبوة، ولذلك اقتضت حكمة الله سبحانه، ورحمته الواسعة، أن يصطفي من البشر رجالاً طيبين صالحين، عرفوا بالصدق والأمانة ورجاحة العقل وصفاء النفس، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة، ويبعثهم إلى الناس برسالاته، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ومن نظر بعين الاعتبار في عناية البارئ بخلقه، وجد أن الحاجة إلى الأنبياء لإصلاح البشر، أشدُّ من الحاجة إلى كثير من المنافع التي لم تهملها العناية الإلٰهية. فكيف لا تقتضي حكمته سبحانه بعث الأنبياء؟! إن جوهر الإنسان يكون في أول فطرته خالياً من المدركات، ليس لديه منها سوى شعوره بنفسه، وبعد أن تكتمل فيه الحواس، يدرك أجناساً من الموجودات المتنوعة، فإذا تجاوز عالم المُحَسَّات، خُلق فيه التمييز، وهو طور ثانٍ من أطوار وجوده، يدرك فيه ما لم يدركه من قبل بالحس الظاهر، ثم يرتقي إلى طور ثالث، ألا وهو العقل، فيدرك فيه بعض الواجبات والممتنعات والممكنات، وغير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى محاكمة عقلية، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ [نوح: ١٣ ـ ١٤].

والنبوة طور آخر، أو مرحلة أبعد من العقل، بل هي بمثابة عين أخرى تنفتح للإنسان، فيبصر بها بعض المغيبات من ماضٍ وحاضر ومستقبل، قبل الموت وبعده، وغير ذلك مما لا يمكنه إدراكه بنفسه. والعلم يدعو إلى الإيمان، غير أن بعض الناس، ممن سَبَح في شاطئ بحر العلم والمعرفة، يأبى مدركات النبوة، وما ذاك إلا لأنها طور لم يبلغه بسبب عناده، فيظن أن لا وجود لها. فهو كالمصاب بعمى الألوان، فإنه لو لم يسمع تمايز الألوان بالتواتر، وحكي له ذلك ابتداء لأنكر أشد الإنكار.

والأنبياء أجمعون يدعون إلى أصول مشتركة، وأسس ثابتة، لا تختلف في حقيقتها وجوهرها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ

رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقد استهدفت جميع الشرائع السماوية في عباداتها وتشريعاتها وأحكامها ما يحقق مصالح الناس في الدنيا، ويهيئهم للظفر بسعادة الآخرة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، أما تفاصيل الشرائع والأحكام، فتختلف من أمة إلى أمة، بحسب اختلاف الزمان وأحوال الناس وأوضاعهم واستعداداتهم وما يحيط بهم من عوامل وملابسات، فكان من حكمة الله ورحمته أن جعل لكل أمة رسولاً خاصاً بها، قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال جل شأنه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج: ٣٤].

وكانت رسالات الأنبياء جميعاً بمثابة المقدمة أو التمهيد لخاتمهم محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ولذلك أنزل الله عليه كتاباً يتضمن شريعة عامة شاملة كاملة، تعالج جميع نواحي الحياة، وهي صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان، تحقق مصالح الناس، وتدفع عنهم المضار في الدنيا، وتهيئهم للظفر بالسعادة في الآخرة، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وقد حرص ﷺ كل الحرص على دخول الناس في دين الله، فما ترك وسيلة يُبلِّغ بها رسالة ربه ﷻ إلى القريب والبعيد إلا سلكها، وكانت رسائله إلى الملوك والأمراء والعظماء في عصره هي الانطلاقة الأولى للعبور بالدين الإسلامي من جزيرة العرب إلى آفاق العالم المعروفة آنذاك.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى

النجاشي وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى[١].

وكان لتلك الرسائل دور كبير في تعميم الإسلام ونشره وتبليغه للناس، وتذكيرهم بما سبق التمهيد له والتبشير به على لسان الأنبياء، ودعوتهم إلى الإيمان به. وهذا العمل يدل على صدقه وثقته بنصر ربه، فقد كان أتباعه في ذلك الوقت قليلين مستضعفين، فضلاً عن أن يكون لديه من العدد والعدة ما لدى الفرس والروم وغيرهم، وإلا فكيف يخاطر بذلك؟ ويظهر هذا الأمر من محتوى الرسائل، حيث يقول فيها: «إن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر». علماً بأن الدعوة إلى الله تعالى بطريق الرسائل والوفادات وإقام الحجج والبراهين من أعمال الأنبياء، وليس من قبيل التحدي العسكري أو السياسي، كما دعا موسى عليه السلام فرعون إلى عبادة الله وحده.

وقد منَّ الله على بعض الملوك والأمراء الذين أرسل إليهم، فدخل بعضهم في الإسلام، وأسلم معهم قومهم، ورد بعضهم ردّاً جميلاً، فأكرموا السفراء، وأرسلوا ببعض الهدايا، ولم يفحش في الجواب سوى كسرى ملك الفرس، فقد مزق الكتاب، وأخذته العزة بالكفر، فدعا النبي ﷺ أن يمزق الله ملكه، فعدا عليه ابنه بعد أيام وقتله، وكانت مملكة الفرس أسرع إلى التهدم من مملكة الروم، كما سيأتي إن شاء الله، ولم يقتل من سفرائه رضي الله عنهم في الطريق إلا الحارث بن عمير رضي الله عنه فقد بعثه بكتاب إلى أمير بُصرى، فلما بلغ مؤتة، تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فاستوقفه وسأله أين يريد؟ فقال: إلى الشام. فقال: لعلك من رسل محمد ﷺ قال: نعم. فأوثقه رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه. وكان ذلك أول صدام مع الروم وأتباعهم، ثم كانت غزوة مؤتة لتأديبهم.

وقد اعتنى المسلمون بهذه الرسائل قديماً وحديثاً، نقلاً لألفاظها بالأسانيد الصحيحة في الصدور والسطور، واحتفاظاً بنسخها في أماكن

---

(١) أخرجه مسلم.

مصونة إلى يومنا هذا، فإن القبائل التي كتب النبي ﷺ إلى عظمائها كانت تحتفظ بها تبركاً واعتزازاً، ويذكر كثير من الرواة والمؤلفين أنهم نقلوا نص بعض الرسائل عن الأصل المحفوظ لدى الأسرة التي كتب النبي ﷺ الكتاب إلى عظيمها، ومع ذلك فقد عدت عوادي الزمن على بعضها، غير أن بعضاً آخر ما زال محفوظاً في أماكن متفرقة من العالم، في المتاحف، ولدى بعض الناس، وقد أخذت لها الصور. وللعلم الحديث أساليب متطورة، يمكن بها تحديد الزمن الذي كتبت فيه الرسالة، والمادة المستعملة في الكتابة، والرق الذي كتبت عليه، وقد جرى هذا لبعضها ـ كما سنرى إن شاء الله ـ فتم توثيقها. أضف إلى ذلك أن دواوين السنة وكتب السيرة زاخرة بنصوصها.

ولما كان في قصص الأولين ـ ولا سيما الأنبياء ـ عبرة لأولي الألباب، ومساهمة في إصلاح البشر، وبخاصة إذا كانت مدعمة بالوثائق، فقد أُلف الكثير من الكتب عن تلك الرسائل، أثراً وتمحيصاً أو شرحاً، ونشرت لها الصور. غير أن هذا الكتاب يمتاز عن غيره بأمرين:

الأول: النهج الدعوي إلى التعريف بحقيقة الإسلام وعالميته.

الثاني: احتواؤه على صورة للنسخة الأصلية التي أمر النبي ﷺ بكتابتها إلى النجاشي ملك الحبشة، ويظهر فيها أثر الخاتم.

وهذه النسخة تقتنيها أسرة سورية تقيم خارج القطر، بينها وبين الدكتور محمد أمين حلواني الاستشاري في أمراض الأطفال روابط ودٍّ وألفة، وقد تمكن من إقناعهم بتسليمها له ليتشرف بالعمل على توثيقها، فعرضها على الخبراء والمختصين بهذا الشأن لتوثيقها، ولا تسل عن غبطته وسروره بعد أن بشر بيقينيتها. وقد تم الاتفاق بيننا على أن نكتب هذا الكتاب، ونزفه للعالم، فعسى أن يفتح الله به العقول والقلوب، في عصر طغت فيه المادة على كل شيء، حتى أصبح الإنسان كالآلة الصماء، لا معنى للحياة عنده، وسيطر الإعلام فيه بفنونه وأجهزته الأخاذة على نفوس الناس، فغدا الإنسان مسيراً فكرياً، يتقمص ما يفصَّل له.

وليس في ذاكرة الغرب عن محمد ﷺ إلا ما تلقوه في الكتب المدرسية التي لا تزيد في تعريفه عن كونه بدوياً من عرب مكة، أتيح له الاتصال ببعض أهل الكتاب في عصره، فقبس منهم بعض المبادئ، ثم لم يلبث أن أقام عليها ديناً جديداً، جمع لنصرته آلاف الأعوان من الجاهلين الذين أكرهوا شعوباً على اعتناقه بقوة السيف، والأدهى من ذلك والأمر أن أكثر أساتذة الدراسات الشرقية في الجامعات الأوروبية والأمريكية من المغرضين، فماذا يُنتظر منهم غير تشويه الحقائق تحت ستار البحث العلمي وحرية الفكر؟

يقول الدكتور والمفكر الفرنسي موريس بوكاي[1]: «إن المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عموماً في بلادنا الغربية، ولا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة، فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان، وكيف فرض عليهم الجهل في كل ما يمس بالإسلام».

ويقول أيضاً: «إن كثيراً من النصارى الذين تربوا في ظل روح عدائية صريحة للمسلمين، هم مبدئياً أعداء لكل تأمل في الإسلام، بسبب انطباعاتهم المبنية على مفاهيم مغلوطة، صدرت ضد الإسلام، ولذلك فإنهم يظلون في جهالة لحقيقة الإسلام».

نسأل الله سبحانه أن يكون هذا الكتاب مفتاحاً للقلوب والعقول، يتعرف القراء فيه على حقيقة الإسلام من خلال ما نقدمه في **القسم الأول** منه عن عالمية الإسلام، ومن خلال رسائل النبي ﷺ إلى ملوك عصره في **القسم الثاني**، فيكون سبباً في دفعهم إلى البحث بموضوعية خالصة عن هذا الدين، وعن دلائل نبوة محمد ﷺ ليظهر الحق، ويزهق الباطل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) في كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث، ص٦ و ٨.



القسم الأول

عالمية الإسلام

ويحتوي على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: دلائل نبوة محمد ﷺ.

الباب الثاني: النبوة.

الباب الثالث: أدوار الدعوة.

الباب الأول

دلائل نبوة محمد ﷺ

من تتبع سيرة محمد ﷺ وتدبرها بنزاهة وموضوعية، من ولادته إلى بعثته، ومن بعثته إلى أن انتقل إلى جوار ربه ﷻ وأمعن النظر في نسبه، أصله وفصله، وفي بلاده عامة وخاصة، وما جرى معه، وما انتهى إليه أمره وأمر أمته، وصل إلى اليقين الذي يطمئن إليه القلب بصدق هذا الرجل، وصدق ما جاء به، فقد اجتمعت له أمور، لا يجتمع مثلها إلا لنبي مرسل، وهي ثلاثة أنواع: أمور في ذاته، أمور في صفاته، أمور خارجة عن ذاته وصفاته. وهذا ما نراه في الفصول التالية:

الفصل الأول: الأمور التي في ذاته.

الفصل الثاني: الأمور التي في صفاته.

الفصل الثالث: الأمور الخارجة عن ذاته وصفاته.



الفصل الأول

الأمور التي في ذاته

○ بركة إبراهيم وولديه:

أراد الله سبحانه ـ وهو أعلم حيث يجعل رسالته ـ أن يبقى اسم إبراهيم عليه السلام مباركاً إلى الأبد، فأوحىٰ إليه أنه سيهبه أولاداً يقومون بالدعوة إلى الله من بعده، ورزقه على الكبر إسماعيل وإسحاق وغيرهما، غير أنه سبحانه لم يجعل البركة إلا في إسماعيل وإسحاق عليهما السلام.

والبركة هي الزيادة والنماء، والمراد بها هنا أن يكثر نسلهما، ويكون منهما الأنبياء والملوك والصالحون، فيقيمون حكم الله في الأرض، ويسيرون بين الناس بالدعوة إلى الله والقدوة الحسنة.

جاء في سفر التكوين في قصة هروب هاجر من سارة:

١٦/ ٩ ـ ١١: فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يديها. تكثيراً أكثر نسلك، فلا يعد من الكثرة، ها أنت حبلى، فتلدين ابناً، وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك ... فولدت هاجر لإبراهيم ابناً، ودعا إبراهيم اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل.

١٧/ ١٥ ـ ٢٢: وقال الله لإبراهيم: سارة امرأتك، لا تدعُ اسمها ساراي، بل اسمها سارة، وأباركها، وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها

فتكون أمماً، وملوك شعوب منها يكونون.. وقال إبراهيم: ليت إسماعيل يعيش أمامك ـ وفي التوراة السامرية: في طاعتك ـ فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل، فقد سمعت لك فيه، هأنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة. وفي الترجمات القديمة: وأما إسماعيل، فقد قبلت دعاك... وأجعله لأمة عظيمة.

وقد أنجب إسحاق يعقوب، وبارك الله إسحاق وولده يعقوب المسمى أيضاً إسرائيل، فأصبح نسله هو الحامل لبركة إسحاق، إذ جعل الله سبحانه في عقبة النبوة والكتاب، وأكثر ما ظهرت بركة إسحاق في موسى عليه السلام فقد أعطاه الله التوراة موعظة وتفصيلاً لكل شيء، وكان كل نبي يأتي من بني إسرائيل من بعد موسى يسير على سنته وشريعته، حتى آخر نبي منهم، وهو عيسى عليه السلام.

وأنجب إسماعيل اثني عشر ولداً، كان منهم قِيدار الذي هو جد قبيلة قريش، التي منها محمد ﷺ، فمن قيدار ابتدأت بركة إسماعيل، وأصبح نسله هو الحامل لهذه البركة.

جاء في سفر التكوين ٢٥/ ١٢ ـ ١٣: وهذه مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية سارة لإبراهيم، وهذه أسماء بني إسماعيل حسب مواليدهم: نبايوت بِكْرُ إسماعيل وقِيدار وأَدَبئيل...

ولم يأت من صلب إسماعيل من بورك وعظم، وكان لأمة كبيرة؛ غير محمد ﷺ وهو من نسل قيدار، ولم يكن إسماعيل ولا أولاده متصرفين أو متحكمين في معظم الأمم، ولم يظهر فيهم الملك إلا بعد بعثة محمد ﷺ، فقد كانت الخلافة من بعده في قريش، وملأت أمته الآفاق. فبظهور محمد ﷺ وبعثته تحققت بركة إبراهيم وبركة ابنه

إسماعيل عليه السلام في الأمم على أكمل وجه وأحسن بيان[1].

○ شرف نسب محمد ﷺ:

لنسبه ﷺ من الشرف أعلى ذورة في البشر، فقد نشأ في قبيلة من أشرف قبائل العرب، وفي بيت من أفضل بيوت قريش، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر - وهو الملقب بقريش، وإليه تنسب القبيلة - ابن مالك بن النَضْر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان[2].

ولا خلاف أن عدنان يعود نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام فمحمد ﷺ من قبيلة قريش التي هي من صميم ذرية إسماعيل عليه السلام وتعرف أسرته في قريش بالأسرة الهاشمية، نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف. وقد شهد أهل الجاهلية والإسلام أن قريشاً أفضل العرب، وأن بني عبد مناف أفضل قريش، وأن بني هاشم أفضل بني عبد مناف. وقد أشار ﷺ إلى دوحة الشرف هذه.

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم[3].

وعند الترمذي وصححه: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.

---

(١) ميثاق النبيين، ص١٩٣ - ٢٠٤، حقيقة النصرانية، ص٧ - ٩.

(٢) ذكر نسبه البخاري في ترجمة باب مبعث النبي ﷺ، وذكر رزين أنه عن ابن عباس رضي الله عنهما - انظر: جامع الأصول ١١/ ٢١٤، زاد المعاد ١/ ٧١، الحدائق ١/ ٩٦.

(٣) أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت من خير قرون بني آدم، قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت منه [أخرجه البخاري].

والقرن هو الأمة في عصر من العصور، كلما انقضى عصر سمي أهله قرناً، سواء طال أو قصر[1].

○ ميلاده المكاني و الزماني:

ولد ﷺ بجوف مكة مسكن آل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

جاء في سفر التكوين ٢١/ ١٢/ ١٣: وابن الجارية سأجعله لأمة عظيمة؛ لأنه نسلك. وفي التوراة السامرية: لشعب كبير أجعله.

٢١/ ١٤: فبكر إبراهيم صباحاً، وأخذ خبزاً وقِربة ماء، وأعطاهما لهاجر، واضعاً إياهما على كتفها والولد.

٢١/ ٢٠ ـ ٢١: وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.

وفاران هي الجبال المحيطة بمكة، وهذه الكلمة في الأصل اسم لأحد ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض، فكان الحجاز وتخومه لفاران، وتسمى القطر كله باسمه، وبقي هذا الاسم يطلق على الجبال بمكة إلى ما بعد القرن الثامن الهجري[2].

وكانت ولادته ﷺ في شهر ربيع الأول عام الفيل، الموافق شهر نيسان من عام ٥٧١م، يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت، على المشهور عند الأكثرين. والصحيح أن والده توفي وهو جنين في بطن أمه، فكفله

---

(١) جامع الأصول ٨/ ٥٣٤، وانظر القاموس ومختار الصحاح مادة قرن.

(٢) ويقال: إن برية فاران تمتد إلى العقبة. وانظر: معجم البلدان لياقوت، الجواب الصحيح ١/ ٣٠١، تحفة الأريب، ص١٣٥.

بعد ولادته جده عبد المطلب، ولا خلاف أن أمه ماتت بالأبواء، بين مكة والمدينة، منصرفها من زيارة أخواله في المدينة، وهو في السادسة من عمره، قبل أن يستكمل سبع سنين، فقد نشأ لطيماً لم يعرف الأب، ولم يدرك الأم، ولم ينعم بحياة الخير، ثم توفي جده عبد المطلب وهو على نحو ثماني سنين، ليكون في منتهى حالات اليُتْم، فكفله عمه أبو طالب، واستمرت كفالته له، ولم يشعر بحالات الرخاء والرفاهية عند عمه، فقد كان كثير العيال قليل المال. فلما بلغ خمساً وعشرين سنة، تزوج خديجة بنت خويلد ﵂ وهي أرملة في الأربعين من عمرها، وهي أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج حال حياتها غيرها[1].

○ خاتم النبوة:

لما كان محمد ﷺ خاتم النبيين، فقد مَيّزه الله بعلامة فريدة جعلها بين كتفيه، ألا وهي خاتم النبوة، دلالة على فضله، وهو عبارة عن شامة كبيرة نافرة.

عن السائب بن يزيد ﵁ قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي وَجِع. فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، فتوضأ فشربت من وَضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، مثل زر الحجلة [متفق عليه ورواه الترمذي].

وعن عبد الله بن سرجس ﵁ قال: درت خلفه ـ أي النبي ﷺ ـ فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، عند ناغض كتفه اليسرى جُمعاً عليه خيلان، كأمثال الثآليل[2] [أخرجه مسلم].

---

(١) الزاد ١/ ٧٦ ـ ٧٧، الحدائق ١/ ٣٠ و١٢٩، و١٤٧، و١٥٠.

(٢) ناغض الكتف: طرف العظم العريض الذي في أعلاه، والخيلان: جمع خال، وهو الشامة. جُمعاً: قال الحميدي: لعله عنى جمع الكف، وهو أن يجمع الرجل أصابعه ويقبضها إلى باطن الكف. وانظر جامع الأصول ٨/ ٢٤١.

وعند الترمذي، وقال: حسن صحيح: كان خاتم رسول الله ﷺ الذي بين كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمام.

وقد ورد ذكر هذه العلامة في الكتاب المقدس لدى أهل الكتاب. جاء في سفر إشعياء ٩/٦: لأن يولد لنا ولد، ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفيه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً..

وفي بعض الترجمات القديمة: الذي رياسته على عاتقه، وبين منكبيه. وفي ترجمة أخرى: والشامة على كتفيه.

فالسِّفر قد بشر بنبي يأتي، وسوف يخصه الله بعلامة يجعلها في بدنه، وهي الشامة. ولم تكن هذه الشامة لسليمان ولا للمسيح عليه السلام.

وأفاد النص أيضاً أن اسمه عجيب، أي لم يعهده الناس. وقد عجب اليهود من نبوة محمد ﷺ كما في مزامير داود ١١٨/٢٢ ـ ٢٣ وعجبت قريش من جده عبد المطلب حيث سماه محمداً.

ودل النص أيضاً على أن اسمه يشير إلى صفة فيه، وهي حمده لربه سبحانه، فهو محمد، وهو أحمد.



الفصل الثاني

الأمور التي في صفاته

نشأ ﷺ بين قومه أميناً صادقاً، لا يعرف الكذب ولا الخيانة ولا الغدر، فقد أنبته الله نباتاً حسناً، حتى كان أفضلهم مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأحفظهم للأمانة، وكان معروفاً في مجتمعه بهذه الصفات قبل البعثة، مميزاً بها عن غيره، لا يساويه فيها أحد، حتى سموه بالأمين، لا يجهل ذلك أحد، ولا ينكره عدو.

أما بعد البعثة، فقد كان خلقه القرآن، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالتي هي أحسن، ليس فظاً ولا غليظاً ولا صخّاباً، بل كان لطيفاً شفوقاً متواضعاً، يخفض جناحه للضعيف، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتقم لها، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله، لا يحقر أحداً ويقبل المعتذر، ومن شدة حيائه كانت معاتبته تعريضاً، يأمر بالرفق ويحض عليه، وينهى عن العنف ويُحذّر منه، ويحث على العفو والصفح، يوقر الكبير، ويرحم الصغير.

شهد بذلك جميع من عرفه قبل النبوة وبعدها، ممن آمن به أو كفر، فاستحق بذلك قول الله تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

ومن الجدير بالذكر أن الصحابة ﷺ نقلوا إلينا أخباره بدقة وأمانة، ووصلت إلينا بأسانيد متعددة صحيحة، لا يغيب عنا منها شيء. ومن الأجدر أيضاً، أنها لم تصل إلينا من طرف واحد فقط، وهو ما دوَّن

أصحابه رضي الله عنه، بل ومما سجله وتناقله أعداؤه، ولا سيما من عاصروه، وكان السجل واحداً بصورة عامة، وبخاصة من حيث السلوك والأخلاق، فسيرته معروفة مكشوفة منذ ولادته إلى بعثته، ومن بعثته حتى انتقاله إلى جوار ربه، يعرفها جميع من عاصره، ويطلع عليها من بعده، فيتمكن من الإحاطة بها، لا يفوته منها شيء.

وبهذه الأخلاق الحميدة، والكمالات العملية، يكون قد جمع بين شرف النسب، وطيب النفس، وهذه صفات الأنبياء.



الفصل الثالث

الأمور الخارجة عن ذاته وصفاته

وهي كثيرة متنوعة، ولا تختص بحياته، فمنها ما كان قبل مولده، ومنها ما كان حال حياته، ومنها ما جرى ويجري بعد مماته. ويشمل ذلك ما يلي:

أ ـ آياته ومعجزاته التي أجراها الله على يديه:

وهي ثلاثة أنواع:

١ ـ **معجزاته المادية**: مثل رد بصر الأعمى، وتكثير الطعام والشراب، وتكليم الجمادات وانقيادها إليه، وغير ذلك مما مضى وانقضى، وصار معلوماً بالخبر المتواتر أو المشهور المستفيض، أو بالسند الصحيح.

٢ ـ **معجزاته العقلية**: أو المعنوية، وهي باقية إلى اليوم، وأعظمها القرآن الكريم كلام الله الذي أنزله الله على قلبه، وظهر للناس من فمه الطهور. ووجوه إعجازه كثيرة ومتنوعة:

- فمنها اللغوي، من حيث فصاحة الأسلوب وبلاغة البيان ودلالته على المعنى، وقد تحدى فصحاء العرب المتفاخرين بفصاحتهم، أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عن معارضته، ولو أنهم استطاعوا لما عدلوا عن ذلك إلى حربه.

- ومنها التشريعي، فهو يرسم منهاجاً للحياة الرشيدة السعيدة التي

تسمو بالإنسانية، ويصلح لها أمر دينها ودنياها، فقد تضمن القرآن تشريعاً عادلاً شاملاً كاملاً، صالحاً ومصلحاً لكل زمان ومكان، جمع بين المثالية والواقعية، من غير أن تطغى ناحية على أخرى.

- ومنها العلمي، فالعلماء يكتشفون كل يوم ما كان مجهولاً بالأمس، وما يهلُّ عصر حتى تتكشف معاني القرآن عن بعض النواحي العلمية صراحة أو إشارة.

- ومنها الإعجاز السماعي، فهو متجدد عند قارئه وسامعه، يقرؤه فلا يسأمه، ويسمعه فلا يمله، بل يجذبه إليه وتعتريه الهيبة.

٣ ـ إخباره بالغيب: فقد أخبر النبي ﷺ بمغيبات كثيرة متنوعة، لا يمكن لأحد أن يعلمها إلا بإظهار الله تعالى إياها له. وهي ضربان:

- متقدمة على زمانه كالقصص والعبر التي ذكرها الله سبحانه في القرآن الكريم عن الأمم السابقة، أو قصها النبي ﷺ على أصحابه ﷺ وهذا إخبار بالغيب الماضي.

- غير متقدمة على زمانه. وتشمل ما يلي:

إخباره بالغيب الكائن في زمانه، مما غاب عنه وعن أصحابه ﷺ حال حياتهم، كإخباره وهو بالمدينة عن شهداء مؤتة بأرض الشام، وعن موت النجاشي بالحبشة، وعن هلاك كسرى أبرويز على يد ولده، وكشفه تآمر اليهود عليه، وعما خططه بعض أهل مكة لاغتياله، مما دعاهم للدخول في الإسلام.

إخباره بما سيقع في المستقبل، فقد أخبر ﷺ أصحابه بحوادث وفتوحات تكون في المستقبل، وهي ثلاثة أنواع:

منها ما وقع في زمانه أو بعد مماته، ورآه أصحابه أو أمته على الوجه الذي أخبر عنه، كموت كثير من الصحابة في طاعون عمواس،

وفتح بيت المقدس والشام ومصر والقسطنطينية وقبرص وخروج نار بركانية من أرض الحجاز وغير ذلك.

ومنها ما ظهر في عصرنا ولازال يتتابع، كالتطاول في البنيان، وخروج النساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، وإضاعة الأمانة، وضعف المسلمين وتداعي الأمم عليهم رغم كثرتهم، وغير ذلك.

ومنها ما لم يقع حتى اليوم، والمسلمون ينتظرون وقوعه كعودة الخلافة الراشدة، وظهور المهدي ، وفتح روما، ونزول المسيح بن مريم وقتله الدجال والقضاء على اليهود، وغير ذلك.

ب ـ ورود البشارات في أسفار الأنبياء بمقدمه:

ما انفك كتاب سماوي عن تضمن ذكر أو بشارة بالنبي محمد ﷺ؛ لكن الغالب أن يكون ذلك بإشارات مدرجة، أو رموز معرضة، لا يعرفها إلا الراسخون في العلم، لأنها تحتاج إلى تأمل وإمعان نظر، ولا سيما أن علماء أهل الكتاب كانوا وما زالوا يشوشون وجه الدلالة، ويلقون بالشبهات، وازداد الأمر غموضاً بنقل هذه الأسفار من لغة إلى أخرى، وبخاصة مع ترجمة أسماء الأشخاص وذكرها بمعانيها، بدلاً من الإبقاء على ألفاظها.

ومما يُحتم ذكره في الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب أن أنبياء بني إسرائيل أخبروا قومهم بما سيكون في المستقبل من الأحداث الكبيرة، وبمن يسلط عليهم من الملوك الذين يقتلون رجالهم، ويخربون ديارهم، ويسبون نساءهم وأولادهم، وأعلموهم بظهور المسيح الدجال، وحذروهم من فتنته، مع أن مدة فساده في الأرض قليلة، ويبعد كل البعد ألا يخبر أحد منهم بظهور محمد ﷺ وانتشار دينه و ظهور أمته على غيرها في مشارق الأرض ومغاربها، سواء كان كاذباً أو صادقاً، فإن راسل الملوك والأمراء، وناظر اليهود والنصارى، وظهر من أمته العلماء الربانيون، والحكماء المتقنون، والملوك العظام، الذين حاربوا اليهود وتغلبوا عليهم، فكيف يُجَوّز العقل أن

يكون الأنبياء أخبروا عن حوادث أصغر، وتركوا أعظم الحوادث؟! فمن البدهي أن تخبر أممها به على حسب العادة، وتذكره باسمه وصفاته؛ لأنه إن كان صادقاً فالبشارة به من أولى ما تبشر به الأنبياء أممها، فإن رسالته عالمية، وهو الخاتم، وإن كان كاذباً، فإن فتنته أعظم من فتنة الدجال، والتحذير منه أولى، ولا يكفي التحذير العام من الأنبياء الكذبة، بل لا بد من ذكر اسمه وصفاته، وذكر الأحداث التي تجري حال حياته وبعد وفاته.

ولم ينقل عن كتاب سماوي أن فيه ذكره بالذم والتكذيب والتحذير منه قط، كما هو الحال في الدجال وغيره من الفتن والحوادث التي تقع في المستقبل، بل عامة أهل الكتاب، إما أن يقولوا: ليس له ذكر في كتبنا، أو يقولوا: إن له ذكراً بالمدح والثناء، ولو كان ثمة أخبار عن الأنبياء بذمه وتكذيبه والتحذير منه، لكان ذلك أعظم ما يحتجون به عليه حال حياته، وعلى أمته بعد وفاته، ولاحتج به من لم يدخل في الإسلام منهم على من دخل فيه، فقد كان عندهم من البغض والعداوة له والحرص على إبطال أمره ما دفعهم إلى الافتراء عليه والكيد له[1].

○ موسى يبشر بمحمد:

جاء في سفر التثنية ١٨/ ١٥: يقيم لك الرب إلٰهك نبياً من وسطك من إخوتك، مثلي، له تسمعون.

بشر موسى ﷺ شعب بني إسرائيل بنبيٍّ يأتي من بعده، نسبُه ليس بعيداً عنهم، لأنه من وسط نسل إبراهيم ﷺ وهو ليس من بني إسرائيل، بل من إخوتهم بني إسماعيل، لأن إسماعيل وإسحاق إخوة، ولو كان من بني إسرائيل لقال: منك أو من أحد أسباطك لدى مخاطبته الشعب، ولم يقل من إخوتك، ولما كان موسى ﷺ يعلم عصيان بني إسرائيل للأنبياء

---

(١) إظهار الحق ٢/ ٢١٦، الجواب الصحيح ٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٦، الرسالة السبيعية، ص٧١.

الذين منهم، ويعلم أيضاً ما تكن صدورهم من البغض لبني إسماعيل، أوصاهم بطاعته فقال: له تسمعون.

وجاء أيضاً ١٨/١٨ ـ ١٩: أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، أجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل بشيء آمره به. ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم فيه باسمي، فأنا أكون المنتقم منه.

١٨/٢٠ ـ ٢٢: وأما النبي الذي يطغى، فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فليقتل ذلك النبي. وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه.

أكد النص الثاني البشارة بنبيٍّ يأتي من وسط إخوة بني إسرائيل، وهم بنو إسماعيل عليه السلام وفي ذلك إشارة إلى عموم رسالته، ولو كان منهم لما كان ثمة حاجة إلى مثل هذه البشارة وهذه التوصيات؛ لأن الأنبياء منهم كانوا كثيرين حال حياة موسى عليه السلام وبعد وفاته. ولذلك وصفه لهم بالصفات التالية ليعرفوه وتقام الحجة عليهم:

١ ـ يشابه موسى عليه السلام في كثير من الخصائص، كأن يكون صاحب شريعة كاملة شاملة لأمور الدين والدنيا، وكأن يكون مجاهداً منصوراً، ويموت موتاً ولا يقتل قتلاً، ويتزوج وينجب الأولاد، ونحو ذلك.

٢ ـ يجعل الله كلامه في فم ذلك النبي، فيخاطب الناس بكل ما يوحي الله به إليه. وفي ذلك إشارة إلى أنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، وأن الكتاب المنزل عليه، سيظهر للناس من فمه، وليس مكتوباً كتابة كما كتبت الألواح لموسى عليه السلام.

٣ ـ يجب على بني إسرائيل وغيرهم أن يطيعوه، ومن لا يطيعه، ولا يؤمن به، فإن الله سبحانه سينتقم منه في الدنيا قبل الآخرة.

٤ ـ أشار النص إلى أن النبي المبشَّر به لن يُقتل قتلاً مهما كاد له أعداؤه وحاولوا قتله، بل يموت موتاً عادياً، كما مات موسى ﷺ، أما المتنبئ الكاذب الذي يتقول على الله بعض الأقاويل، فإن نهايته القتل.

٥ ـ أشار النص إلى أن النبي المبشر به سوف يخبر عن مغيبات وحوادث تقع في المستقبل. وسوف يقع ويتحقق ما أخبر به حال حياته أو بعد مماته على الوجه الذي أخبر به. وبذلك يتميَّز النبي الصادق عن المتنبئ الكاذب.

والمفكر المنصف يرى أن هذه الصفات لا تنطبق على يوشع بن نون، ولا على المسيح ﷺ، ولا على الروح القدس، وإنما تنطبق على محمد ﷺ[1].

○ المسيح يبشر بأحمد:

جاء في إنجيل يوحنا ١٤/ ١٥ ـ ١٧: إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الله فيعطيكم (فارقليط) آخر، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه.

١٤/ ٢٦: وأما (الفارقليط) الروح القدس الذي سيرسله الله باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم.

١٤/ ٢٩ ـ ٣٠: وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون، لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له في شيء.

١٦/ ٧ ـ ٨: لكني أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم (الفارقليط)، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك، يبكت العالم على خطية، وعلى بر وعلى دينونة.

---

(١) ميثاق النبيين، ص٢١٦.

١٦/ ١٢ ـ ١٣: إن لي أموراً أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، ولكن متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من عند نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية.

بشر عيسى عليه السلام بالفارقليط، وهي كلمة يونانية قديمة معناها أحمد، والقسس تفسرها بالمعزِّي، فالمعنى الأول اسمه، والمعنى الثاني صفته، ثم وصفه بالصفات التالية:

١ ـ يعلم أمته كل شيء، ويذكر الناس بما قاله المسيح عليه السلام؛ وفي ذلك إشارة إلى أن شريعته كاملة، وإلى أن كلام المسيح سيبدل أو يُنسى.

٢ ـ سماه رئيس العالم، فهو أفضل من المسيح عليه السلام، وشريعته مستقلة لا تستقي أحكامها من التوراة أو الإنجيل.

٣ ـ لا يأتي إلا بعد ذهاب المسيح فلا يجتمع به، ولا يلتقي معه في الدنيا أو في الأرض.

٤ ـ يوبِّخ العالم على أخطاء يرتكبونها، ويحضهم على البر والخير، ويحاسبهم على ذلك، فيجاهد ويقيم الحدود، وفي ذلك إشارة إلى عالمية رسالته.

٥ ـ إن النبي المبشر به لا يتكلم من عند نفسه، بل يتكلم بكل ما يسمعه من الوحي.

٦ ـ سوف يخبر عن مغيبات وحوادث تقع في المستقبل.

ولو قارنت بين هذا النص وبين نص سفر التثنية السابق لوجدت توافقاً بينهما في صفات المبشَّر به. ثم إن هذا النص يشير إلى شخص يتصل بالناس، يسمع كلامهم، ويسمعون كلامه، يراهم ويرونه، ليتم التذكير والتعليم والتوبيخ والمحاسبة، فهو جسم، وليس روحاً مجردة.

ج ـ الإرهاصات التي سبقته:

وهي نوعان: إرهاصات الزمان، إرهاصات المكان.

١ ـ إرهاصات الزمان:

هاجت البشرية وماجت، وطغت وبغت بعد أن اندثرت الشرائع السماوية السابقة، فمنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد الكواكب، ومنهم من عبد النار، ومنهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد بعض الحيوانات. أما أهل الكتاب فقد كانوا غارقين في التيه والضلال بعد أن ضاعت منهم الكتب الحقيقية التي أنزلها الله على أنبيائهم، ولم يبق لديهم سوى أسفار محرفة، جمعوها من أشتات أذهانهم، وصاغوها بحسب مزاجهم وأهوائهم، ثم كتبوها بأيديهم، وقالوا: هذه من عند الله.

سميت تلك الفترة بالجاهلية، لما فيها من حيدان وانحراف عن المنهج الذي أنزله الله على الرسل الذين بعثهم إلى أممهم. واستمرت حقبة من الزمن، غير أن جماعات قلائل من أهل الكتاب عاشوا على ما تبقَّى لديهم من تعاليم أنبيائهم الصحيحة، كانوا ينتظرون بعثة خاتم النبيين، المبعوث رحمة للعالمين، الذي بشرت به الأنبياءُ أُمَمَها.

عن عياض المجاشعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب». [أخرجه مسلم].

فقد كان الكثير من علماء أهل الكتاب يعرفون قرب ظهوره بكثير من الدلائل ويترقَّبونها، فإن بعض أسفارهم تشير إلى زمن بعثته، وتصف مكان هجرته.

○ رؤيا بختنصر وتعبير دانيال:

جاء في سفر دانيال أن الملك بختنصر رأى رؤيا عجيبة، ثم نسيها، فذكرها له دانيال بوساطة الوحي، ثم عبرها له فقال:

٢/ ٣١ ـ ٣٦: أنت أيها الملك، كنت تنظر، وإذا بتمثال عظيم وقف قُبالتك، ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد، صدره وذراعاه من فضة، بطنه وفخذاه من نحاس، ساقاه من حديد، قدماه، بعضها من حديد، والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما، فانسحق حينئذٍ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً، وصارت كعُصافة البيْدر في الصيف، فحملتها الريح، فلم يوجد لها مكان، أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً، وملأ الأرض كلها. هذا هو الحُلْم، فنُخبر بتعبيره قُدام الملك.

٢/ ٣٧ ـ ٤٣: أنت أيها الملك ملك ملوك، لأن إلٰه السماوات أعطاك مملكة واقتداراً ـ ـ ـ فأنت هذا الرأس من ذهب، وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس، فتتسلط على كل الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد، لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء، وكالحديد الذي يُكَسِّر، تسحق وتكسر كل هؤلاء، وبما رأيت القدمين والأصابع، بعضها من خزف، والبعض من حديد، فالمملكة تكون منقسمة، ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين، وأصابع القدمين بعضها من حديد، والبعض من خزف، فبعض المملكة يكون قوياً، والبعض قَصِماً، وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين، فإنهم يختلطون بنسل الناس، ولكن لا يتلاصق هذا بذاك، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف.

٢/ ٤٤ ـ ٤٥: وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إلٰه السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، ومِلْكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق (وتفنى) كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنه قطع حجراً من جبل، لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عَرَّف الملك ما سيأتي بعد هذا. الحُلْم حق، وتعبيره يقين.

ونقل ابن تيمية وابن القيم والقرافي[1] - رحمهم الله - الفقرتين الأخيرتين عن التراجم في أزمانهم كما يلي: «وأما الحجر الذي رأيته دق الصنم ففتته، فهو نبي يقيمه إلٰه السماء من قبيلة، بشريعة قوية، فيدق جميع ملوك الأرض وأممها، حتى تمتلئ الأرض منه ومن أمته، ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدنيا».

يزعم اليهود أن هذه البشارة لم يظهر صاحبها، وهم يحملونها على المسيح السياسي العسكري المنتظر، الذي يقيم لهم مملكة داود العظمى، ولا يزالون ينتظرونه بفارغ الصبر.

أما النصارى، فيحملونها على المسيح بن مريم عليه السلام؛ جاء في حواشي الكتاب المقدس[2] عن الفقرة (٣٩): «مملكة أخرى أصغر منك»: هي مملكة ما داي وفارس، وكانت دون مملكة بابل اتساعاً وأقصر مدة، وأضعف شوكة. «ثم مملكة ثالثة» هي مملكة اليونان التي أسسها الإسكندر الكبير.

وعن الفقرة (٤٠): «ثم مملكة رابعة»: هي المملكة الرومانية التي حطمت كل مملكة قبلها في أوروبة وإفريقية وأكثر آسية.

وعن الفقرتين (٤٤ - ٤٥): هذه المملكة هي مملكة المسيح، وهذا الحجر هو يسوع المسيح، المولود من عذراء، والذي أقام مملكته على الأرض بغير مؤازرة قوة بشرية، وقد كسر قائمتي التمثال العظيم، أي قاعدتي المملكة الرومانية ذات العبادة الوثنية.

○ موازنة وتحليل:

من أنعم النظر في الرؤيا وتعبيرها وقرنها بحوادث التاريخ، اتضح له ما يلي:

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٣، هداية الحيارى، ص٥٥٧، الأجوبة الفاخرة، ص١٧٩ - ١٨٠.

(٢) ص٧٦، وهو من شروح القسس الكاثوليك.

١ ـ المملكة الأولى الممثلة بالرأس الذهبي، هي مملكة بابل، وقد حكمها بختنصر (نبوخذ نصر) صاحب الرؤيا تقريباً من عام ٦٠٥ ـ ٥٦٢ق.م، وهو الذي احتل فلسطين وخرب بيت المقدس وسبى اليهود عام ٥٨٦ق.م.

٢ ـ المملكة الثانية الممثلة بالصدر الفضي، هي مملكة فارس التي قامت بعد سقوط بابل، وقد سيطرت على العراق والشام ومصر، حكم فيها الملك قورش من عام ٥٥٧ ـ ٥٢٨ق.م، استولى على بلاد ما داي وآسيا الصغرى وبابل، وأذن لليهود بالعودة إلى بيت المقدس.

٣ ـ المملكة الثالثة الممثلة بالفخذ من النحاس، هي مملكة اليونان الذين اجتاحوا مملكة الفرس بقيادة الإسكندر الكبير المقدوني عام ٣٣٣ق.م في معركة أبسوس، وكان حكمهُ بين عامي ٣٣٦ ـ ٣٢٣ق.م.

٤ ـ المملكة الرابعة الممثلة بالرجلين من حديد، ثم من حديد وخزف، هي الإمبراطورية الرومانية. وقد ولد المسيح عليه السلام في زمن الإمبراطور أوغستين. ثم في عهد الإمبراطور دقلديانوس الذي حكم من سنة ٢٤٨ ـ ٣٠٥م، انقسمت الإمبراطورية إلى مملكتين: شرقية، عاصمتها بيزنطة، وغربية، عاصمتها روما، ولكل منهما قيصر.

أما قسطنطين الأول مؤسس القسطنطينية فقد توفي عام ٣٢٧م بعد مجمع نيقية بسنتين، وأما هرقل، فقد حكم سنة ٦١٠م، وفي عهده افتتح المسلمون بلاد الشام بما فيها الأراضي المقدسة.

كان اليهود لا يختلفون في تأويل المملكة الرابعة بأنها مملكة الروم، وكانوا يعلمون أن المملكة التي ستدق المملكتين الرومانيتين ستقوم على يد نبي آخر الزمان، فلما ظهر محمد ﷺ أنكروه، وتفرقوا في تأويلها وتعسفوا، وصاروا يتعمدون تأجيلها وتحويلها أو التعتيم عليها. ثم استقر الرأي عندهم على أن صاحبها لم يظهر. وبذلك تركوا فجوة كبيرة فارغة

من التاريخ. وهم في الحقيقة إنما ينتظرون مسيح الضلالة الدجال، فهم أكثر عسكره وأقرب مقربيه.

وما تعسُّفُ النصارى في تأويلها بأحسن حالاً من تعسف اليهود، لأن المسيح عليه السلام لم يدق ملوكاً عندما ظهر، ولم يسحق ممالك، ولم يفنِ أحداً، بل كان خائفاً من أعدائه متستِّراً منهم، وفي زعم النصارى أنهم أهانوه وسخروا منه ثم صلبوه، وبقي أتباعه قرابة ثلاثة قرون يسامون سوء العذاب، فأي مملكة أسس؟! وأي مملكة سحق؟! ولا يمكن حملها على المملكة المعنوية الروحية، لأنه ليس بصاحب شريعة مستقلة، وإنما يقتبس النصارى تشريعهم من التوراة وشروح الآباء. ثم إن سباق النص وسياقه يأبيان حملها على المملكة الروحية. أضف إلى ذلك أن النصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام إله تام، فكيف يوصف بأنه حجر أصمّ؟!

إن الحوادث والوقائع التاريخية تدل دلالة قاطعة على أن هذه البشارة لا يمكن أن تكون إلا بمحمد رسول الله ﷺ فهو خاتم النبيين، ورسالته عالمية، وقد بعث بشريعة سماوية قوية، ودق بها ملوك الأرض وأممها، حتى امتلأت الأرض من أمته، وسلطان دينه دائم إلى آخر الدهر، إذ لا نبي بعده، فلا ناسخ لشرعه، وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقد ولد في زمن كسرى أنو شروان، ولما بلغ الأربعين ـ وهي سن الكمال والتعقل ـ بعثه الله رسولاً إلى العالمين، ثم جاهد مع أصحابه رضي الله عنهم كما جاهد موسى عليه السلام مع أتباعه، فأعطاه الله سبحانه السلطة الظاهرة والباطنة، ثم أعطى النصر لأمته من بعده، فقضوا على الدولتين العظميين في ذلك الوقت، ألا وهما فارس والروم، وملكت أمته موضع قدمي هرقل، فغادر الشام، وودع سورية إلى الأبد فقال: «السلام عليك يا سورية، سلام لا لقاء بعده». ثم تقدمت أمته نحو أوروبة تارة عن طريق الأندلس (إسبانية) حتى وصلت إلى بواتيه في قلب فرنسة، وأخرى عن طريق تركية شمالاً حتى توغلوا داخل القارة. وهذه السلطة لا تفنى بإذن الله ولا تنعدم، وإن اعتراها

الوهن في بعض الأحيان، بل تبقى مرهوبة الجانب إلى أن تفتح روما، كما أخبر الصادق المصدوق، ثم يأتي أمر الله بنهاية العالم.

عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون» [أخرجه الشيخان].

ومما يجدر ذكره أن هذه الرؤيا رسمت صورة ممالك الكفر التي تعبد الأصنام المنحوتة على شكل صنم، له رأس وصدر وفخذان ورجلان وأصابع، فهو صنم يجسم الوثنيات كلها، لكي تظهر صورة الجبل الذي ينتصب مكان الصنم. وبذلك يكون محمد ﷺ هو مؤسس المملكة الربانية الخامسة من حيث الترتيب، فإنها قامت وسحقت ممالك الوثنية، وسيطرت على معظم العالم القديم بالعدل والرحمة. وما مجيء اليهود إلى الجزيرة العربية، وإقامتهم في المدينة وحولها إلا لعلمهم بقرب مبعثه، وكان علماؤهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم[١].

○ إرهاصات المكان وأهلية السكان:

لشبه جزيرة العرب في تركيبها وتضاريسها ومناخها تنوع متكامل، ينتهي إلى إطار من الوحدة العامة الحية، التي تتمثل فيها المظاهر الطبيعية والحياة الاجتماعية والاقتصادية بين البدو والحضر، فهناك اقتصاد الرعي حيث ينبت الكلأ، وتسام الأنعام، وهناك اقتصاد الزراعة حيث تفلح الأرض وتلقى البذور، إلى جانب الاقتصاد البحاري الذي أتاحه لها موقعها في العالم القديم.

وشبه جزيرة العرب مع بلاد الشام والعراق ـ أي جزيرة العرب الكبرى[٢] ـ تقع في العالم القديم موقع القلب، حيث تمتزج الحضارات

---

(١) ميثاق النبيين، ص ٣٥٩ ـ ٣٦١.

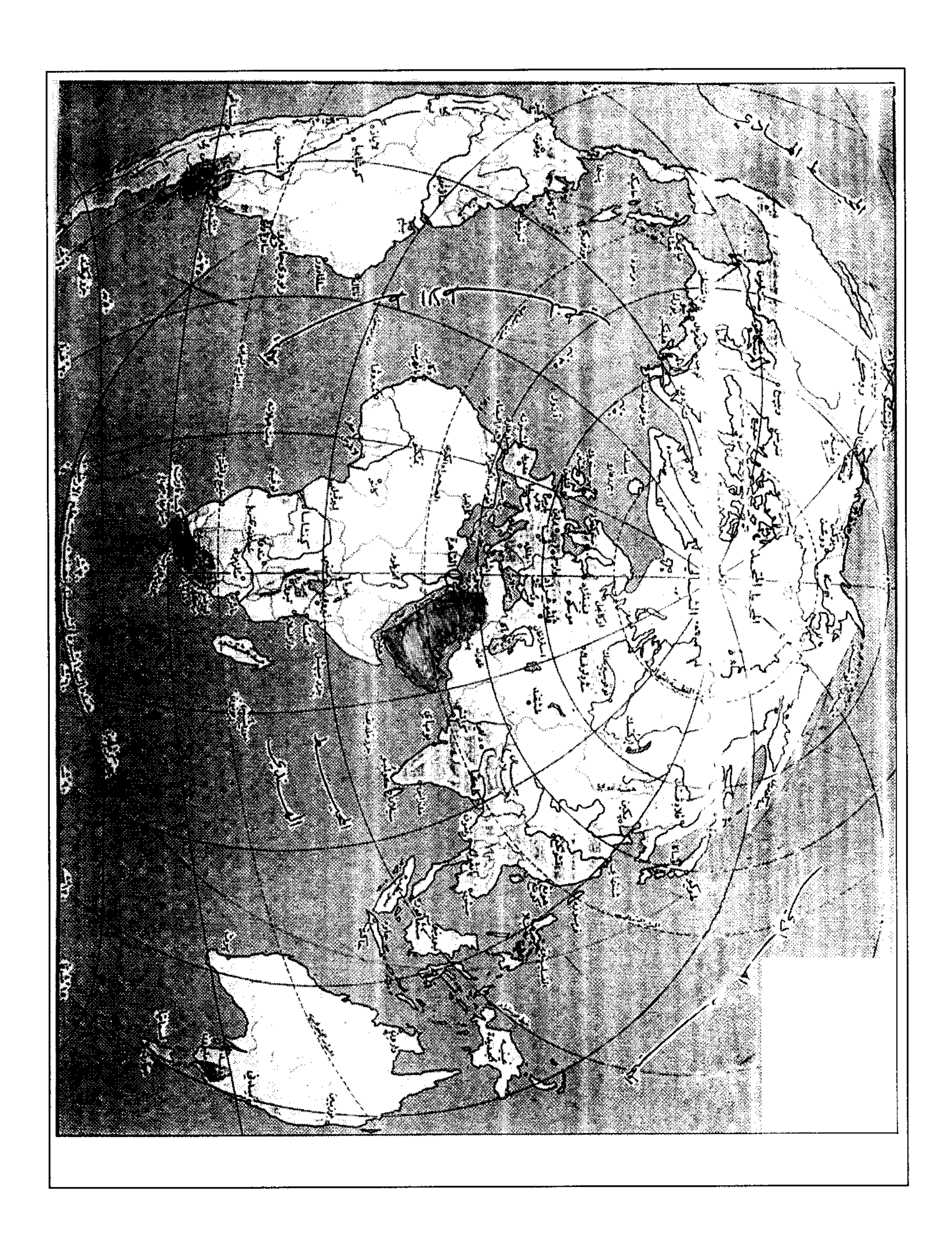
(٢) فالهلال الخصيب يتم حلقتها في الشمال، فيستدير خط من المياه النهرية مع استدارة =

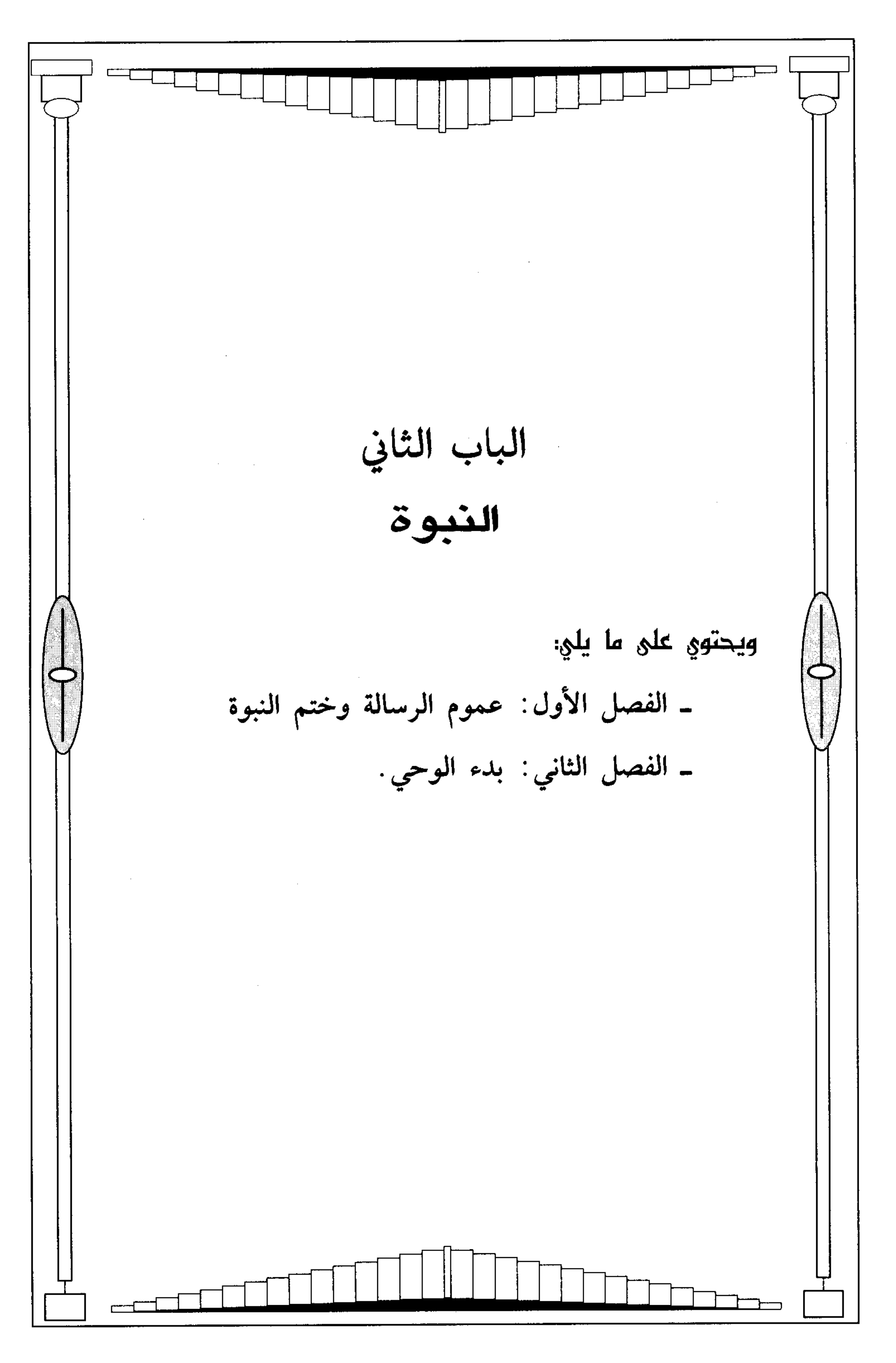
القديمة، وتلتقي طرق التجارة، ولذلك كانت مهبط أكثر الرسالات السماوية. ويرى كثير من العلماء أن الدراسات الجغرافية والهندسية تفيد أن مكة المكرمة هي مركز العالم كله. هذه هي جزيرة العرب في صورتها التي خلقها الله، وفي موقعها الذي اختاره الله، لتكون مهبط دين التوحيد، ومبعث النبي الذي ختمت به الرسالات التي ظهر أكثرها فيها وعلى أطرافها. فلا نبي بعده، ولا كتاباً سماوياً بعد كتابه، ولا ناسخ لشرعه، بل يثبتان إلى نهاية العالم.

هذا من حيث المكان، أما من حيث السكان، فقد اختار الله سبحانه هذا النبي ﷺ من شعب أقرب إلى البداوة التي لم تفسدها المدنية، وإلى البساطة التي لم تغيرها الرفاهية، فلم يكن من أمة عرفت الفلسفة والمجادلات، أو توغلت في العلوم والمعارف، ولو كان الأمر كذلك لقيل: اقتبس من علوم الأقدمين. وكان أمّيّاً لا يحسن الكتابة ولا القراءة. قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨ ـ ٤٩] أي: وما كنت يا محمد تعرف القراءة ولا الكتابة قبل نزول هذا القرآن عليك، لأنك أمي، ولو كنت تقرأ أو تكتب لشك الكفار في القرآن وقالوا: إنه قرأه على بعض الأعجمين أو درس خارج الجزيرة، ثم التقطه مِن كتب الأوائل ونسبة إلى الله، فليس الأمر كما ظن أهل الباطل والعناد، وإنما هو آيات واضحات الإعجاز من حيث اللفظ والمعنى، يحفظها العلماء في صدورهم.

وقد لبث في قومه عمراً قبل أن ينزل عليه القرآن، لا يقرأ ولا يكتب. وكل واحد من قومه يعلم أنه لا يحسن الكتابة، ولا يخط حرفاً.

= البحر، مكملاً الإطار المائي الذي يحيط بها من ثلاث الجهات الأخرى.





الباب الثاني

النبوة

ويحتوي على ما يلي:

- الفصل الأول: عموم الرسالة وختم النبوة
- الفصل الثاني: بدء الوحي.

الفصل الأول

عموم الرسالة وختم النبوة

كان الوحي الإلٰهي يتخير بقاعاً من الأرض، ينزل بها على الأنبياء بين حين وآخر، كما ينزل الغيث في مكان دون مكان، فقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن يرسل إلى كل أمة رسولاً يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، يعرفهم بالله جلت قدرته، ويرسم لهم الطريق السوي ليسلكوه، ويعيشوا في راحة وسعادة. قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

ولما كان كل شعب يعيش منعزلاً تقريباً عن بقية الشعوب لصعوبة الاتصالات آنذاك ولطبيعة الحياة، أرسل لكل شعب نبياً خاصاً بهم، ولمدة معينة من الزمن، وما دام الرسول لشعب من الشعوب، فلا بد أن يكون منهم، يخاطبهم بلسانهم، ويتعامل معهم في حياتهم العادية، وإلا لما فهموه وما عرفوه. فكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وكانت رسالة كل منهم محدودة المكان والزمان[1].

---

(١) ومنهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وتشهد بذلك الأناجيل التي بين يدي النصارىٰ:
متى ١٠/ ٥ ـ ٦: وأرسل يسوع هؤلاء التلاميذ الاثني عشر، وأوصاهم، قال: لا تقصدوا أرضاً وثنية، ولا تدخلوا مدينة سامرية، بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل.
متى ١٥/ ٢١ ـ ٢٧: وخرج يسوع من هناك، وجاء إلى نواحي صور وصيدا، فأقبلت إليه امرأة كنعانية من تلك البلاد وصاحت: ارحمني يا سيدي، ابنتي فيها شيطان، ويعذبها كثيراً. فما أجابها يسوع بكلمة. فدنا تلاميذه وتوسلوا إليه: اصرفها عنا؛ لأنها تتعبنا بصياحها، فأجاب يسوع: ما أرسلني الله إلا إلى الخراف الضالة من بني =

ولدى اقتراب نهاية العالم النسبية، كان لا بد من دعوة جامعة لبني البشر، تتمثل في رسول يجمع الدعوات، ويختم الرسل، ينسخ ما كان خاصاً بقوم، ويضم ما تشترك به البشرية جمعاء، لا نبي بعده، ولا ناسخ لشريعته. وهذا ما كان في نهاية المطاف.

= إسرائيل. ولكن المرأة جاءت فسجدت وقالت: ساعدني يا سيدي. فأجابها: لا يجوز أن يؤخذ خبز البنين ويرمى إلى الكلاب. فقالت له المرأة: نعم يا سيدي، حتى الكلاب تأكل من الفتات الذي يتساقط عن موائد أصحابها.

وفي مرقس ٧/ ٢٤ ـ ٢٩: وانتقل من هناك إلى نواحي صور وصيدا، ودخل بيتاً، وكان لا يريد أن يعلم به أحد، فما أمكنه أن يخفي أمره. وسمعت به امرأة كان في ابنتها روح نجس، فأسرعت إليه، وارتمت على قدميه، وسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها، وكانت غير يهودية، ومن أصل سوري فينيقي. فأجابها يسوع: دع البنين أولاً يشبعون، فلا يجوز أن يؤخذ خبز البنين ويرمى إلى الكلاب. فقالت المرأة: نعم يا سيدي، حتى الكلاب تأكل تحت المائدة من فتات البنين. فقال لها: اذهبي، من أجل قولك هذا خرج الشيطان من ابنتك.

وبغض النظر عن توثيق الإنجيلين اللذين أخذنا منهما هذا النص، فإننا نجل المسيح ﷺ، من أن يخاطب تلك المرأة بهذه الطريقة، ويشبهها ذاك التشبيه.

والذي يعنينا من الأمر أن المسيح ﷺ إنما أرسل إلى قومه خاصة، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

والذي ادعى أن دين المسيح ﷺ عالمي إنما هو بولس اليهودي اللاوي، الذي لم ير المسيح ﷺ مطلقاً، وإنما دخل إلى المسيحية بطريقة مريبة بعد رفع المسيح ﷺ؛ ففي أثناء الاضطهاد والظلام الحالك ادعى أنه رأى المسيح ﷺ فعاتبه على اضطهاد أتباعه وأرسله، ثم راح يقول في صراحة: إنه الوحيد المؤتمن على المسيحية الصحيحة، وأن كل ما يخالف قوله باطل كاذب، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان. والنقاط التي ابتدعها ما يلي:

١ ـ النصرانية ليست ديناً لليهود فحسب، بل هي دين عالمي.

٢ ـ التثليث وتأليه عيسى ﷺ.

٣ ـ المسيح ابن الله، ونزل ليضحي بنفسه على الصليب تكفيراً عن خطيئة آدم.

٤ ـ قيام المسيح من بين الأموات وصعوده إلى السماء ليجلس عن يمين أبيه كما كان من قبل.

٥ ـ عودته بعد ذلك ليدين البشر.

فدين الإسلام لم يرتبط بأناس أو أقوام، بل جاء إلى الناس جميعاً، فقد بعث الله محمداً ﷺ إلى كل بشر يسمع ويعقل، فكانت رسالته عامة لجميع الأجناس والشعوب، لا فرق بين لون أو عرق، ثم صحبت الزمان في مسيرته، فإذا انتهى جيل من الناس، فإن الجيل الذي يليه مخاطب ومكلف بها إلى قيام الساعة.

قال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

إن ختم النبوة به؛ تقرير بعالمية رسالته وبقائها، وعدم ارتباطها بأقوام محدودين، وبهذه الصفة التي انفرد بها محمد ﷺ دون الأنبياء، تحققت بركة إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد ـ زاد في رواية: من الأنبياء ـ قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود[1]..» الحديث [أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما].

وفي رواية أخرى: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة».

فعالمية الإسلام تنبع من منطلق رئيسٍ هام، وهو كونه آخر الأديان، وقد جاء ليكمل الرسالات السماوية السابقة ويختمها، والإيمان بجميع الرسل من صلب العقيدة الإسلامية. وبهذه الصورة أقامت رسالة محمد ﷺ مفهوم العالمية فيها على أن الدين واحد من الأزل إلى الأبد، وأن الأنبياء إخوة في التعريف بالله والدلالة عليه واقتياد البشرية إليه، والقرآن الكريم

---

(١) أراد جميع العالم، فالأسود معروف، والعرب تسمي الأبيض أحمر. جامع الأصول ٥/ ٥٣٠.

قد جمع في سياقه كل ما تناثر على ألسنة الأنبياء من عقائد وفضائل. ولذلك كان خاتم الكتب ومهيمناً عليها.

إن عالمية الرسالة ثم التصريح بها في أوائل ما نزل من الوحي، حيث كان أهل مكة يستكثرون أن يكون محمد ﷺ رسولاً إليهم وحدهم، ويذيقون أصحابه الأمرين. كما تحدث عنها في مواضع أخرى عديدة. ومن ذلك ما يلي:

ـ قال تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] أي: وأوحي إليَّ هذا القرآن، لأنذركم به يا أهل مكة، وأنذر به كل من بلغه من العرب والعجم إلى يوم القيامة.

ـ وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] أي: إني رسول من عند الله إلى جميع أهل الأرض.

ـ وقال جل جلاله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أي: وما أرسلناك يا محمد إلا رحمة للخلق أجمعين.

ـ وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١] أي: تمجد وتعظم وتكاثر خير الله الذي نزل القرآن العظيم الفارق بين الحق والباطل على عبده محمد ﷺ ليكون نبياً للخلق أجمعين، مخوفاً لهم من عذاب الله.

ـ وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨] أي: وما أرسلناك يا محمد للعرب خاصة، ولكن لعموم الخلق، مبشراً للمؤمنين، ومنذراً للكافرين، غير أن الكافرين لا يعلمون ذلك، فيحملهم جهلهم على ما هم فيه من الضلال.

ـ وقال جل شأنه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩، ٧٠] أي: ما هذا الذي يتلوه محمد ﷺ إلا قرآن واضح، لينذر به كل حي على وجه الأرض، وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب مستنير البصيرة، ويحق العذاب على الكافرين، لأن الحجة قامت عليهم به.

ومن هذا المنطلق دخل في الإسلام منذ بدء الدعوة ناس من غير العرب، كان منهم الحبشي والرومي والفارسي، أسلموا وحسن إسلامهم ﷺ، وكانوا من صحابة رسول الله ﷺ المقربين.

ظل رسول الله ﷺ قرابة تسعة عشر عاماً يدعو إلى الله بين مكة والمدينة، يعلِّم عبدة الأوثان، ويرشد الضائعين من أهل الكتاب، وعندما تم صلح الحديبية بين المسلمين وكفار قريش أخذ رسول الله ﷺ يرسل الرسائل إلى ملوك وأمراء أهل الأرض في عصره، يبلغهم دعوة الحق، ويفتح عيونهم عليها، وكانت تلك السفارات والرسائل النبوية بُداءة المد الإسلامي إلى داخل الجزيرة العربية وخارجها، ومقدمة لسياحة الإسلام في العالم دعوة وحضارة وجيوشاً.

ومن الجدير بالذكر أن عالمية الإسلام تفرض على أتباعه أن يقدموا من سلوكهم الخاص والعام نماذج من المعاملة جديرة بالإكبار، ليظهروا حقيقة الإسلام لمن لم يعرفوها.

○ ميثاق النبيين:

لما كان محمد ﷺ خاتم النبيين، وقد بُعث رحمة للعالمين؛ فإن الله سبحانه أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله، بالإيمان به واتباعه ونصرته إن بعث وهو حي، وأخذ على الأنبياء عهداً أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم، فبشر كل نبي أمته بذلك، وذكر لهم بعض صفاته، وأخذ عليهم العهد بالاتباع والنصرة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ

﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[1] [آل عمران: ٨١].

وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما قالا: ما بعث الله نبياً، آدم فمن بعده إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنَن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ العهد على قومه، لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء، ليؤمنُن به ولينصرنه وليتبعنه. ثم تلا علي رضي الله عنه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ...﴾ الآية [أخرجه البخاري].

وإنما أخذ الله سبحانه له الميثاق من النبيين مع علمه أنهم لا يدركونه، لإظهار فضله، والتنويه بقدره، وليتناقل المؤمنون ذلك من جيل إلى جيل.

وقد أشار سفر التثنية إلى هذا الميثاق فقد ورد فيه قول موسى عليه السلام لبني إسرائيل ١٨/ ١٥: «يقيم لك الرب إلٰهك نبياً من وسط إخوتك مثلي، له تسمعون».

فأوصاهم بطاعته واتِّباع أقواله لدى ظهوره.



(١) لما.... أي: مهما أعطيتكم من كتاب وحكمة. إصري: عهدي.

الفصل الثاني

البعثة وبدء الوحي

لم تتأثر فطرة النبي ﷺ قبل البعثة بما كان عليه أهل الجاهلية، فقد بغض الله إليه الأوثان وسائر ما كان عليه قومه من دين باطل وعادات ضارة، فلم يسجد لصنم قط، ولم يذق المسكر، ولم يلعب بالميسر. وفي السنة الثامنة ـ أو التاسعة ـ والثلاثين من عمره ﷺ حبب الله إليه الخلوة، فكان يخلو بغار حراء، أحد الجبال قرب مكة المكرمة. يتعبد فيه أياماً بعد أيام يتزود لها. وكان تعبده تفكراً فيما آل إليه أمر الناس من ظلمات الجاهلية المنافية للعقل السليم والفطرة الصافية، وفي السبيل إلى إنقاذهم من الظلمات إلى النور. وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧] أي: ووجدك حائراً تائهاً عن معرفة الشريعة والدين لإنقاذ الناس، فهداك إليهما.

فلما كمل له أربعون سنة، أشرق عليه نور النبوة، فجاءه الملك جبرائيل عليه السلام وهو بغار حراء، بالوحي من ربه بسورة اقرأ، ثم بعثه رحمة للعالمين[١].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق

(١) الزاد ١/ ٧٧ و٨٤، الحدائق ١/ ٣٤ ـ ٣٥ و١٥٩. وكان نزول الوحي عام ٦١٠م تقريباً.

الصبح[1]، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه[2] الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاء الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد[3]، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ!

فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع[4]، فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ: لقد خشيت على نفسي. فقالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسِب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[5]. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن

---

(١) في بعض الروايات: الرؤيا الصادقة. وفلق الصبح: ضياؤه، وفلق: شق. وإنما يقال هذا في الشيء الواضح. وقبل مبعثه بستة أشهر، كان وحيه مناماً، ومدة النبوة ثلاث وعشرون سنة، فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. الزاد ٢/ ٨٤، الحدائق ١/ ٣٤.

(٢) قال الزهري: «وهو التعبد»؛ وأصل الحِنث: الإثم، فمعنى يتحنث: يتجنب الحنث بالعبادة.

(٣) الجَهد ـ بفتح الجيم ـ: المشقة، وبضمها: الطاقة. وقيل: هما لغتان. وغطني: خنقني، وذلك إذا ضمه بشدة.

(٤) زملوني: غطوني، والتزميل والتدثير واحد، وهو التغطية. والروع ـ بفتح الراء ـ: الفزع.

(٥) لا يخزيك: لا يهينك. والكل: أصله الثقل، والمراد كل ما يتكلفه الإنسان، =

عبد العُزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب[1]، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس[2] الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعاً[3]، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال له رسول الله ﷺ: أَوَ مُخْرِجيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك حياً، أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي. [أخرجه البخاري ومسلم].

○ غار حراء في الكتاب المقدس:

وبنزول الوحي في هذا المكان على محمد ﷺ تحققت بشارة موسى عليه السلام لقومه بمحمد ﷺ بعد أن تحققت بعيسى عليه السلام.

ففي سفر التثنية ٣٣/ ١ ـ ٢: وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجلُ الله بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الله من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى مع رِبْوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم.

= ويحمله عن غيره ويدخل في ذلك الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال. وهو من الكلال، أي الإعياء. وتكسب المعدوم: أي تعطي الشيء مع قلته وفقده. وتقري الضيف: أي تطعمه. وتعين على نوائب الحق: أي الحوادث المحمودة.

(١) كان المسيح عليه السلام يتكلم الآرامية، وهي فرع من العبرانية، فلعل بعض الأناجيل التي كتبت بالآرامية وصلت إلى ورقة، علماً بأن متى كتب إنجيله بالآرامية، وقد ضاع، وأقدم نسخة عندهم باليونانية، ولا يعرفون من هو المترجم. انظر: الكتب السماوية وشروط صحتها، ص٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٢) الناموس: صاحب سر الخير، ضد الجاسوس؛ وهو صاحب سر الشر. وانظر: القاموس.

(٣) الضمير في (فيها) عائد إلى النبوة. والجذع: الشاب، أي: ليتني شاباً حين ظهورها.

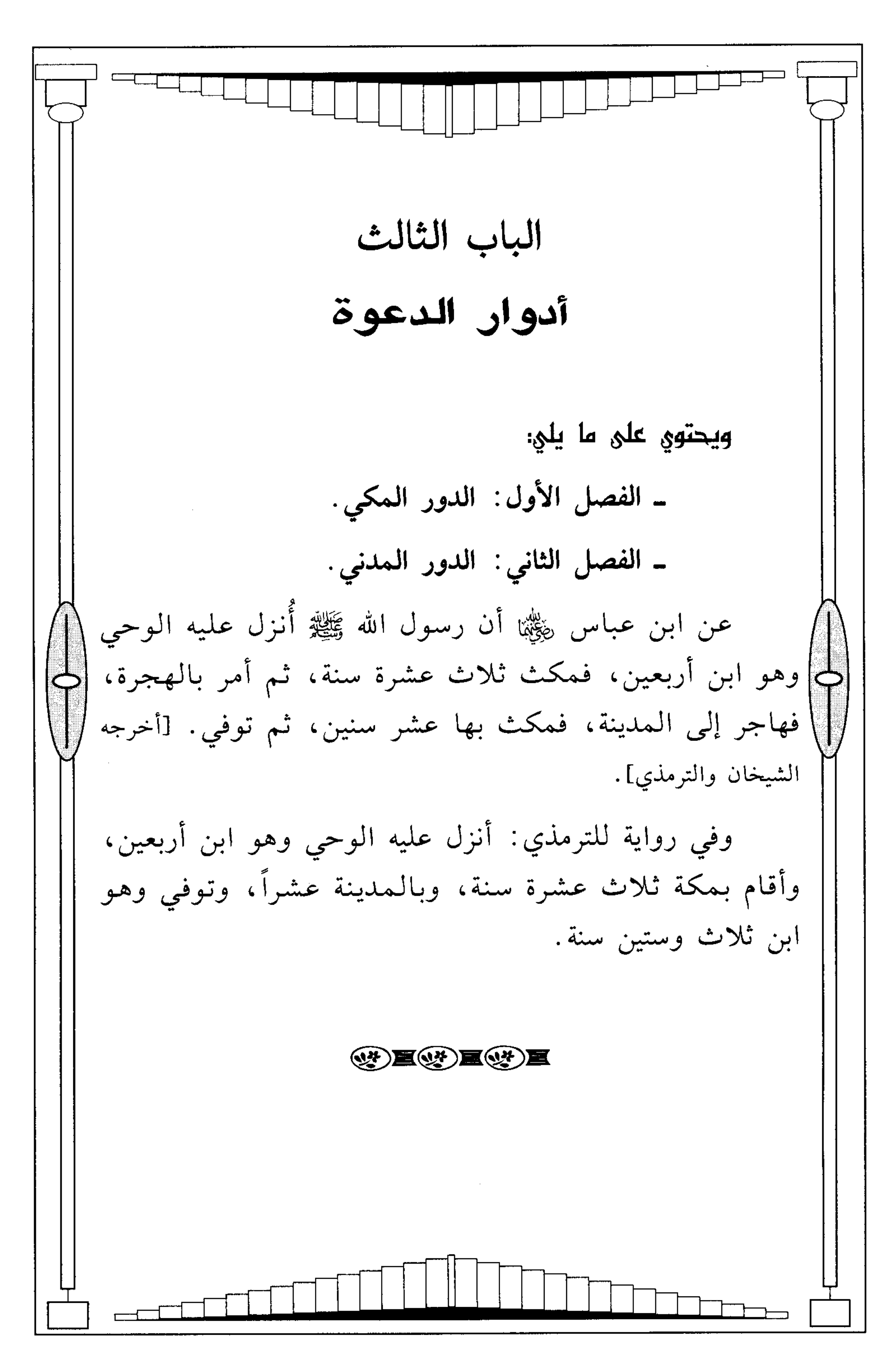
وفي الترجمات القديمة: جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبل فاران.

وفي التوراة السامرية: فقال موسى: الله من سينين أتى، وأشرق عن الشعير، ولهم لمع من جبل فاران.

وهذا النص متضمن ثلاث نبوءات؛ فمجيئه من سيناء: ظهور دينه وتوحيده بما أوحى به إلى موسى عليه السلام حيث كلمه هناك. وإشراقه من ساعير: ظهور فضله على عبده ورسوله عيسى عليه السلام ببعثه وإنزاله الإنجيل عليه. وساعير جبل معروف في فلسطين، بجانب مدينة بيت لحم، حيث ولد المسيح عليه السلام. وتلألؤه أو لمعانه من جبل فاران: هو ظهور أمره إلى جميع الناس بإرسال محمد ﷺ رحمة للعالمين، وإنزاله القرآن عليه.

وفاران هي الجبال المحيطة بمكة، حيث ولد محمد ﷺ ثم جاءه الوحي وهو في غار حراء، أحدِ جبالها. ولا ريب أن فاران هي مسكن آل إسماعيل بن إبراهيم جد النبي ﷺ، كما سلف في ميلاده ﷺ.





الباب الثالث

أدوار الدعوة

ويحتوي على ما يلي:

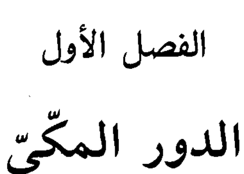
- الفصل الأول: الدور المكي.

- الفصل الثاني: الدور المدني.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين، فمكث ثلاث عشرة سنة، ثم أمر بالهجرة، فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين، ثم توفي. [أخرجه الشيخان والترمذي].

وفي رواية للترمذي: أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشراً، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

الفصل الأول



الدور المكّيّ

ويحتوي على ما يلي:

- الفرع الأول: الدعوة إلى الله سرّاً.

- الفرع الثاني: الجهر بالدّعوة.

- الفرع الثالث: الاضطهاد والمصابرة.

- الفرع الرابـع: إجابة أهل المدينة وبيعتهم.

روى الترمذي بسنده عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ أقام بمكة ثلاث سنين، ثم أعلن في الرابعة، فدعا الناس عشر سنين.

الدعوة إلى الله سرّاً

أول ما أوحى إليه ربه قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] فأمره بالقراءة في نفسه، ولم يأمره بالتبليغ، ثم أنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١، ٢] فبعثه إلى الناس، وأمره بالتبليغ والإنذار.

وكان من الحكمة أن تكون الدعوة في أول أمرها سرية، لئلا يأتي أهل مكة بما يفاجئهم.

وكان من البدهي أن يعرض الإسلام أولاً على ألصق الناس به، وهم أهل بيته وأصدقاؤه المقربون، الذين تربطه بهم روابط القرابة القريبة أو الصداقة الوطيدة، ثم على كل من يتوسم فيهم خيراً ورجاحة عقل ممن يتوقع منهم تلبية الدعوة، فأجابه جمع منهم، عُرفوا فيما بعد بالسابقين الأولين. وكان في مقدمتهم زوجته خديجة رضي الله عنها وهي أعرف الناس به، ولذلك صدقته وآمنت به قبل أن يُرسل ويؤمر بالتبليغ والإنذار، ثم قامت بعد ذلك بأعباء الدعوة معه بعد أن أرسل، فخفف الله بها عنه. ثم آمن به ورقة بن نوفل، فقد صدقه وعلم أنه خاتم النبيين المنتظر، وتمنى أن يكون شاباً ليساعده، لكن سرعان ما قضى نحبه قبل أن يأمر الله نبيه بالتبليغ، فمات على الإيمان. وآمن به ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان ابن ثماني سنين، يعيش في كفالة النبي ﷺ، وآمن به خادمه زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي يعرفه حق المعرفة. أما صديقه الحميم أبو بكر رضي الله عنه فما لبث أن صدقه حين عرض عليه الإسلام.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة، إلا أبا بكر، فإنه لم يتلعثم» [أخرجه رزين][1].

ثم نشط هؤلاء مع النبي ﷺ في أمر الدعوة، ولا سيما أبو بكر ﷺ فقد كان تاجراً محبباً ذا خلق كريم ومعروف كبير، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لفضله وحسن مجالسته، فطفق يدعو من يثق به ممن يغشاه، فاستجاب له ناس، منهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد وغيرهم ﷺ حتى بلغ عدد من أسلم قرابة أربعين. وكان النبي ﷺ يجتمع بهم سراً، فيقرأ عليهم ما نزل من القرآن، ويرشدهم إلى الإسلام[2].

ومن الجدير بالذكر أن الذين لبوا الدعوة، لم يكونوا من قبيلة واحدة، أو طبقة واحدة، بل كانوا من مختلف المستويات، منهم الوجهاء ومنهم الضعفاء، منهم الفقراء ومنهم الأغنياء، منهم الأحرار ومنهم الأرقاء.



(١) ورواه بمعناه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن مسعود ﷺ. وانظر جامع الأصول ٨/ ٥٨٥.

(٢) الزاد ٣/ ١٩، مختصر السيرة، ص٨٣، ٨٤، الحدائق ١/ ٣٠٢، الرحيق المختوم، ص٨٥ ـ ٨٨.

الجهر بالدعوة

أقام رسول الله ﷺ يدعو إلى الله مستخفياً ثلاث سنين، دخل الناس خلالها في الإسلام أرسالاً، من الرجال والنساء، حتى فشا ذكره في مكة، غير أن قريشاً لم تنكر ذلك ولم تعره اهتماماً، ثم نزل الوحي بتكليف النبي ﷺ بإعلان الدعوة في قومه، وانتقاد أصنامهم، وتسفيه عقولهم، فشمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة، ولقي المسلمون من المشركين أنواع العذاب، فما ارتد أحد منهم عن دينه(١).

○ إنذار عشيرته الأقربين:

أول ما نزل عليه في هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾(٢) [الشعراء: ٢١٤] فامتثل أمر ربه، وأظهر الدعوة، وكان من البدهي أن يبدأ بالأقرب فالأقرب، فدعا بني هاشم، فحضروا ومعهم ناس من بني عبد المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فبادره عمه أبو لهب وقال له: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك، فتكلم ودع الصباة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك، وإن أقمت على ما أنت عليه، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشرٍّ مما جئت به. فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس.

---

(١) الحدائق ١/٣٠٣، الرحيق المختوم، ص٨٨، الزاد ٣/٢١، ٢٢.

(٢) هم ولد النضر بن كنانة، وهم بطون قريش، وهم قومه، الحدائق ١/٩٥.

ثم دعاهم ثانية وقال: الحمد لله أحمده، وأستعينه وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له. ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إلٰه إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً. فقال عمه أبو لهب: هذه والله هي السوءة، خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا[1].

○ الصدع بالحق:

ثم أعلن الدعوة بين قومه امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤] أي شق جموعهم بالتوحيد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ صعِد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش. فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي، تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾..﴾ [أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي].

واستجاب له قليل من الناس، وأنكر عليه بعضهم، أما أكثرهم، فلم ينكروا ولم يتبعوا حتى بادأهم بعيب آلهتهم ونقض دينهم، فانفجرت بهم مشاعر الغضب، وبعد إدارة فكرهم لم يجدوا سبيلاً إلا أن يأتوا إلى عمه

---

(١) الرحيق، ص٩٠.

أبي طالب، ويطلبوا منه أن يكف ابن أخيه وقالوا له: إما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه[1].

○ العرض على القبائل:

ثم شرع ﷺ في إنذار العرب قاطبة، ففي السنة الرابعة من البعثة، انتهز رسول الله ﷺ فرصة مجيء الناس إلى الحج، فجعل يأتيهم قبيلة قبيلة، يدعوهم إلى الله، فمنهم من يرد رداً لطيفاً، ومنهم من يرد رداً قبيحاً، غير أنه لم يقبل منهم أحد، وكان أبو بكر وعلي رضي الله عنهما يخرجان معه.

واجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة ليتشاوروا فيما يرمونه به في الموسم ليصرفوا الوفود عنه، وتكون كلمتهم واحدة، فقال: الأقرب أن تقولوا: ساحر، جاء يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، ثم جلسوا بسبيل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، فانصرفت العرب من ذلك الموسم، وهي تتحدث بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها[2].

عن عاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي الموسم في كل عام، يتبع الناس في منازلهم، وفي المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلم يجد أحداً

---

(١) الحدائق ١/ ٣٥ و٩٥ و٣٠٣، الرحيق، ص٩٠، ٩٢.

(٢) الحدائق ١/٣٤٧، ٣٤٨، الزاد ٣/ ٤٣.

ينصره ولا يجيبه، حتى ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إلٰه إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكاً في الجنة»، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه، فإنه صابئ كذاب، فيردون على رسول الله ﷺ أقبح الرد، ويؤذونه ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم ينفعوك. وادخر الله ذلك كرامة للأنصار [أخرجه الترمذي].



الاضطهاد والمصابرة

بدأ الاضطهاد في أواسط السنة الرابعة من البعثة، فكان المشركون يستهزئون بالنبي ﷺ إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه، ويقولون: أهؤلاء جلساؤه؟! ثم وثبت كل قبيلة إلى من أسلم منهم، فعذبوهم وسجنوهم بغية أن يفتنوهم عن دينهم. وأمام تلك الاضطهادات كان النبي ﷺ يطلب من بعض المسلمين ألا يعلنوا إسلامهم، فكان عامة أصحابه يخفون إسلامهم وعبادتهم ودعوتهم، ومن أراد منهم الصلاة ذهب في شعاب مكة يستخفي بصلاته. بقي المستضعفون في أيدي المشركين يسومونهم سوء العذاب، حتى مات بعضهم، وامتنع جماعة ممن أسلم بعشائرهم من أذى المشركين، أما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة.

وفي السنة الخامسة من البعثة قارب عدد المسلمين الأربعين، فكان من الضروري أن يجتمع بهم رسول الله ليرشدهم، فاختار دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، حيث كانت على الصفا بمعزل عن أعين المشركين، فكان يجتمع بهم سراً على شكل جماعات[1].

○ هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة:

ولما اشتد البلاء بالمسلمين، ورأى النبي ﷺ ما يصيب أصحابه رضي الله عنهم من الأذى، وما هو فيه من العافية بمكان من الله سبحانه، ثم من عمه أبي طالب، أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة فقال: لو خرجتم إلى أرض

(١) الحدائق ١/ ٣٠٣ و٣١٥، الرحيق، ص١٠٥.

الحبشة، فإن بها ملكاً عادلاً، لا يظلم عنده أحد، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

وفي شهر رجب سنة خمس من البعثة هاجر أول فوج من الصحابة ﷺ وكان مكوناً من بضع أسر، لم يزيدوا جميعاً عن اثني عشر رجلاً وأربع نساء، منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ. كان رحيلهم تسللاً في الخفاء، حتى لا تعلم قريش بالأمر فتحبطه، وقد وفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار فحملوهم إلى الحبشة. وبلغ الخبر قريشاً، فلما خرجوا في آثارهم إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا. فكانت تلك أول هجرة في الإسلام[١].

اشتد العذاب على من بقي من المسلمين، فقست عليهم عشائرهم واضطهدتهم، وبلغهم حسن جوار النجاشي ملك الحبشة[٢]، فأشار النبي ﷺ مرة أخرى على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر فوج آخر، وكان مكوناً من ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة - أو تسع عشرة - سوى الأبناء الصغار، ويسر الله لهم السفر أيضاً، فوصلوا إلى الحبشة قبل أن تدركهم قريش.

فلما رأت قريش أن أصحاب محمد ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض

---

(١) الزاد ١/ ٩٧ و٣/ ٢٣، الحدائق ١/ ٣٢٠ و٣٢١، مختصر السيرة، ص٩٢، ٩٣، تهذيب سيرة ابن هشام ١/ ٧٢، ٧٣، فقه السيرة، ص١١٥، الرحيق، ص١٠٥.

(٢) النجاشي: لقب ملوك الحبشة في العصور القديمة، كما أن كِسرى لقب ملوك الفرس، وخاقان لقب ملوك الترك، وهرقل لقب ملوك الروم. واسم هذا النجاشي أصحمة بن أبحر. وقيل: ابن بحر. وقيل: ابن أبجر، وكان عبداً صالحاً لبيباً عادلاً، وكان على مذهب النسطورية، وهو مذهب قائم على التوحيد، ينكر ربوبية المسيح عليه السلام ومن أقوالهم: «لا تقولوا: مريم أم الله، لأنها من البشر، ويستحيل أن يولد الإله من البشر». هاجر إليه المسلمون في صدر الإسلام سنة خمس للبعثة، الهجرة الأولى، ثم الثانية بعد ذلك بقليل، فأقرهم وأكرمهم، و ردَّ وفد قريش. ويبدو أن معرفته بالله، وبحقيقة المسيح عليه السلام هي سر المعاملة الطيبة للمسلمين.
وانظر الزاد ١/ ١٢٠، أسد الغابة ٤/ ١٩٣، ١٩٤، محمد رسول الله، لمحمد رضا، ص٧٣.

الحبشة، وأقاموا عند النجاشي في أحسن حال، ائتمروا أن يبعثوا منهم رجلين إلى الحبشة، ويرسلوا معهما هدايا للنجاشي وبطارقته؛ ليطردهم.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار النجاشي، أَمِنّا على ديننا، وعبدنا الله تعالىٰ، لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين منهم، وأن يهدوا له هدايا مما يستطرف من متاع مكة، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هدية قبل أن تكلما النجاشي فيهم.

فخرجا حتى قدِما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا، ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا: اللهم نعم. ثم إنهما قدّما هدايا للنجاشي، فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا كما قالا للبطارقة.

قالت: ولم يكن شيء أبغضَ إلى عبد الله وعمرو من أن يسمع النجاشي كلامهم. فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى بلادهم وقومهم. فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله، لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد، قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم. فلما جاءهم

رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول ـ والله ـ ما علمنا وما أمرنا به نبينا، كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما جاؤوا، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قالت: فعدد أمور الإسلام. فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالىٰ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم. قال: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدراً من سورة (كهيعص). قالت: فبكى ـ والله ـ النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة[1]، ثم قال لعبد الله وعمرو: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون.

---

(١) المشكاة: الكُوة في الحائط غير النافذة، وأصلها الوعاء يجعل فيه الشيء.

قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم[1]. فقال له عبد الله: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد. ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم، فسلهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا، كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول[2]. فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله، ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود.

---

(١) أي أصلهم الذي تفرعوا منه.

(٢) البتول: المنقطعة للعبادة. والروح: لفظ يذكر ويؤنث، والجمع أرواح. وهي جسم لطيف حساس، مبسوط في جميع البدن، ينفذ في جواهر الأعضاء، ويسري فيها، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من الروح، بقي الجسم حياً بحركاته وتحسسه، وإذا فسدت بسبب ما، وخرجت عن قبول الروح، فارقت الروح البدن إلى عالم البرزخ، فهي سر الحياة، وهي سر من أسرار الله. وقد تطلق النفس على الروح. والمخلوقات من حيث المادة المسبقة والسبب والمدة نوعان:

• نوع أوجده الله سبحانه بفعل الأمر (كن) من غير مادة سابقة عليه يخلقه منها، ومن غير سبب تسببت عنه، ولا مدة. ومن هذا النوع عالم الأرواح، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

أي أنّ بدء خلق الروح ووجودها صادر عن أمر الله، وهو قوله: (كن) من غير مادة سابقة عليها، ومن غير سبب تسببت عنه، ومن غير مدة لتكوينها، فهي فورية الوجود، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

• ونوع آخر، أوجده الله سبحانه بأمر (كن) أيضاً، لكن من مادة سابقة عليه، وفي مدة تناسبه، بأسباب قَدَّرها. ومن هذا النوع عالم الأجسام، فجسم الإنسان مخلوق من تراب، وجسم الجان من مارج من نار، وجسم الملائكة من نور. علماً بأن =

فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال. فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لي جبلاً من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين، وأقمنا عنده بخير دار

= المادة الأولى لكل منهم هي أيضاً مخلوقة بأمر (كن). والمحققون على أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد.

وقد أعلن الله سبحانه شرف روح الإنسان وكرامتها، فأضافها إليه، حيث قال عن خلق آدم: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١، ٧٢] والنفخ هنا كناية عن إيصال الروح بالجسم، وإفاضتها على ذراته بالحياة بعدما صار جسداً مستعداً لها. و(من) في قوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِى﴾ للابتداء، أي من روح بُدئ خلقها وإيجادها من الله تعالى. وفي ذلك بيان شرف الروح الإنساني، فإنها ليست كغيرها من أرواح البهائم والحيوانات، بل هي في أوج الكرامة والشرف والاستعداد لتلقي الفيوضات والمعارف الإلٰهية، وفيها الأهلية لتكون موضع الخطابات الشرعية والقضايا الإيمانية اهـ. [بتصرف عن كتاب هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان، لفضيلة الشيخ عبد الله سراج الدين، ص١٩٣، ١٩٤ و١٩٧ و٢٠٢، ٢٠٣ و٢٠٨ ـ ٢١٨].

والمسيح عليه السلام روح الله وكلمته. قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥] ولم يبين هنا سبحانه الكلمة التي أطلقت على عيسى عليه السلام لكنه بينها في موضع آخر حيث قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] وأشار إليها في موضع آخر فقال: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٤، ٣٥] فهي كلمة (كن) وأطلق عليه لفظ الكلمة؛ لأنها هي السبب في وجوده، من إطلاق السبب وإرادة المسبب، فبالكلمة خلق عيسى عليه السلام وليس هو الكلمة. وقال سبحانه عن مريم: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء: ٩١] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١٢] أي: أجرينا فيها روح المسيح، كما يجري الهواء بالنفخ. وأضاف سبحانه الروح إليه تشريفاً لعيسى عليه السلام كما أضافها إليه لما ذكر خلق آدم؛ لأنه سبحانه هو الذي خلق الروح لكليهما ولغيرهما بكلمة (كن).

وانظر أضواء البيان ١/ ٢٧٩، تفسير الماوردي ٣/ ٦٠.

مع خير جار [أخرجه أحمد في المسند][(1)].

وأقام المسلمون في الحبشة نحو عشر سنين، إلى سنة ست للهجرة، حيث كتب النبي ﷺ إلى النجاشي ليجهزهم، فقدموا عليه يوم فتح خيبر[(2)].

○ العرض على القبائل:

كان رسول الله ﷺ لا يسمع بقادم إلى مكة من العرب له شرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله ﷻ، وعرض عليه ما جاء به من الهدى والرحمة.

وكان إذا اجتمع الناس في المواسم، جاء يعرض نفسه على قبائل العرب، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.

قال الترمذي: حدثني محمد بن صالح عن صالح بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي الموسم كل عام يتبع الناس في منازلهم وفي المواسم بعكاظ وذي المجاز، يدعوهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلم يجد أحداً ينصره ولا يجيبه.. وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه، فإنه صابئ كذاب. فيردون عليه أقبح الرد، ويؤذونه ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك.

وروى ابن إسحاق عن شهاب الزهري أنه ﷺ أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال له: إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء. فقال له: أفتُهدف نحورنا

---

(١) برقم ١٦٤٩ و١٧٤٠ و٢١٤٦٠ من طريق ابن إسحاق بإسناد صحيح. وانظر تهذيب سيرة ابن هشام ١/ ٧٢ ـ ٧٧، وهداية الحيارى ص٢٥٧ ـ ٢٦١.

(٢) وانظر الزاد ٣/ ٢٣ ـ ٢٩، الحدائق ١/ ٣٢١ ـ ٣٢٣، الرحيق، ص١٠٥ و١٠٨.

للعرب دونك، فإذا أظهرك الله، كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك[1].

○ مساومة قريش النبي ﷺ:

أرسلت قريش عتبة بن أبي ربيعة ـ وهو من سادات قريش ـ يعرض على رسول الله ﷺ إغداق كل ما يمكن أن يكون مطلوباً له ليكف عن دعوته، فقال له: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المنزلة الرفيعة والنسب الشريف، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به عقولهم، وعبت آلهتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها. فقال: قل أسمع.

قال: يا ابن أخي، إن كنت تريد بما جئت به مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً، سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْياً تراه، لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. حتى إذا فرغ عتبة، قرأ النبي ﷺ أوائل سورة فصلت، فلما سمعها منه عتبة، أنصت لها، حتى إذا انتهى إلى السجدة منها، سجد رسول الله ﷺ ثم قال: قد سمعتَ، فأنت وذاك. فأثر ذلك في نفس عتبة، وذهب إلى قريش ونصحهم فقال: خلوا بين محمد وبين ما هو فيه، فإن تصبه العرب، فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فعزه عزكم، فقالوا: سحرك والله بلسانه[2].

وفي رواية أن عتبة قال له: فرقت جماعتنا، وشتَّتَّ أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا بين العرب، لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما ننظر إلا مثل صيحة الحبلى، أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة،

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ١/ ١٠١، ١٠٢، ومختصر السيرة، ص١٤٩.

(٢) الرحيق، ص١٢١ ـ ١٢٣.

جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش، وإن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء شئت، فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم... وشرع في قراءة سورة فصلت[1].

○ حصار الشعب:

في أول المحرم من السنة السابعة للبعثة، اجتمعت قريش، وتعاهدوا على قطيعة بني هاشم وبني المطلب في البيع والشراء والنكاح وغير ذلك حتى يهلكوا عن آخرهم أو يسلموا إليهم محمداً ليقتلوه، وكتبوا بذلك صحيفة، وعلقوها في سقف الكعبة، تأكيداً لأمرها، فانحاز النبي ﷺ وأهله من هذين البطنين، مسلمهم وكافرهم، إلى شعب أبي طالب، ما عدا عمه أبا لهب، فقد انحاز إلى المشركين، واستمر الحصار الاقتصادي والاجتماعي ثلاث سنوات، فتضوروا جوعاً وعطشاً وعرياً، ولحقتهم مشقة عظيمة بذلك حتى أكلوا ورق الشجر. ثم هيأ الله لهم من زعماء قريش من عمل على إبطاله، فقد اجتمع في آخر السنة التاسعة من البعثة، ستة من سادات قريش ليلاً، وتعاقدوا على نقض الصحيفة، وفعلوا ذلك، فخرج النبي ﷺ وأهله من الحصار[2].

وبعد ذلك بأشهر، أي في السنة العاشرة من البعثة، مات عمه أبو طالب، ففقد من كان يدافع عنه، ونالت قريش منه ما لم تكن تناله حال حياة عمه. وبعد ذلك بثلاثة أيام، ماتت زوجته خديجة رضي الله عنها ففقد أيضاً من كان يواسيه في البيت، فاشتد حزنه، ولكن كان الله خلفاً له عن كل غائب[3].

---

(١) هذه رواية حديث عن جابر رضي الله عنه أخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى. وقد ساقه البغوي في تفسيره، وروى نحوه ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب القرظي.

(٢) الزاد ٣/ ٢٩، الحدائق ١/ ٣٢٦ و٣٣٠ ـ ٣٣٨، مختصر السيرة، ص١١٠ ـ ١١١.

(٣) الزاد ٣/ ٣٠، الحدائق ١/ ٣٧ و٣٣٢ و٣٣٤، مختصر السيرة، ص١١٢ ـ ١١٣.

○ الرحلة إلى الطائف:

اشتد بلاء قريش على رسول الله ﷺ بعد موت عمه، فتجرؤوا عليه، وكاشفوه بالأذى، فخرج في شهر شوال من السنة العاشرة للبعثة مع خادمه زيد بن حارثة إلى قبيلة ثقيف في الطائف مشياً على الأقدام، مع أنها تبعد عن مكة ستين ميلاً، رجاء أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تستجب له قبيلة، وأقام في الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاء وكلمه، فاستهزؤوا به وقالوا: اخرج من بلادنا. فسألهم أن يكتموا عنه ذلك، لئلا تشمت به قريش، فلم يفعلوا. ولما انصرف عنهم، أغروا به سفهاءهم، فوقفوا له سماطين، وجعلوا يرمونه بالحجارة ويصيحون خلفه، ويسبونه ويضحكون، حتى أدموا عرقوبيه وكعبيه، واختضبت نعلاه بالدماء، وكان زيد يقيه بنفسه، حتى أصابه شجاج في رأسه. وما زالوا به حتى ألجؤوه إلى بستان، فاشتد كربه لذلك.

وكان أهل مكة قد علموا بذهابه إلى الطائف، فلما دنا من مكة قال له زيد: كيف تدخل عليهم؟! فقال: يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصرٌ دينه، ومظهر نبيه. ولما بلغ في مرجعه حراء، أرسل رجلاً من خزاعة إلى بعض وجهاء مكة ليجيروه، فأبوا ثم بعث إلى المطعم بن عدي النوفلي، فوافق ولبس سلاحه هو وبنيه، وخرجوا إلى المسجد، وأعلن أنه قد أجار محمداً ﷺ، ثم بعث إلى النبي ﷺ أن ادخل، فدخل وطاف بالكعبة ثم انصرف[1].



(١) الحدائق ١/ ٣٧ و٣٤١ ـ ٣٤٢ و٣٤٦ ـ ٣٤٧، الزاد ٣/ ٣١ ـ ٣٣، مختصر السيرة، ص١٤١ ـ ١٤٣.

إجابة أهل المدينة ومبايعتهم

○ الالتقاء بأهل المدينة:

كان أهل المدينة من الأوس والخزرج مشركين أصحاب أوثان، وكان يساكنهم فيها اليهود الذين نزحوا إليها، وكانت لا تزال بين الفريقين شرور وخصومات؛ فإذا نال المشركون من اليهود بعض ما يكرهون، قالوا لهم: قد أظل زمان نبي يبعث، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. وكانوا كثيراً ما يسمعون ذلك منهم.

وكان ذلك من سعادتهم، ففي موسم الحج في السنة الحادية عشرة من البعثة، اجتهد النبي ﷺ في عرض نفسه على القبائل، فخرج على عادته ليلاً، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من المشركين ومعه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما فمروا على بعض القبائل، فردوا رداً لطيفاً، لكنهم توقفوا في قبول الإسلام، ثم مروا بعقبة منى[1]، فالتقوا بستة أشخاص من الخزرج، فقال رسول الله ﷺ: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فقال بعضهم لبعض: إنه للنبي الذي تَوَعدَنا به يهود، فلا يسبقونا إليه، فآمنوا به وصدقوه، وقالوا: إن قومنا بينهم العداوة والبغضاء، فإن جمعهم الله بك، فلا رجل أعز منك. ووعدوه أن يرجعوا إلى عشائرهم، ويدعوهم إلى ما دعاهم إليه، وواعدوه في الموسم العام القابل.

---

(١) العقبة: الجبل الطويل، صعب الصعود، يعرض للطريق فيأخذ فيه.

فلما قدموا المدينة، ذكروا ذلك لقومهم، ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور المدينة، إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

أما اليهود فكفروا به وكذبوه. وفي الفريقين نزل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

○ بيعة العقبة الأولى:

وفي موسم العام التالي، في السنة الثانية عشرة من البعثة، وافى النبيَّ ﷺ ليلاً عند العقبة اثنا عشر رجلاً، منهم خمسة من السبعة الأوائل، فبايعوه على ما أراد.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيث كان، لا نخاف في الله لومة لائم. قال رسول الله ﷺ: «فإن وفيتم، فلكم الجنة، ومن غشي من ذلك شيئاً، كان أمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه».

وفي رواية: «من أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب به في الدنيا، فهو كفارة له وطهور، ومن ستر الله عليه، فذلك إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه».

ثم انصرفوا إلى المدينة، وبعث النبي ﷺ معهم مصعب بن عمير العبدري، وعبد الله بن أم مكتوم، يقرئانهم القرآن، فنزلا على أسعد بن زرارة رضي الله عنه فأسلم على يديهما خلق كثير، إذ لم تبق دار إلا وفيها رهط يظهرون الإسلام[١].

---

(١) الزاد ١/ ١٠٠ و٣/ ٤٤ ـ ٤٥، الحدائق ١/ ٣٧ ـ ٣٨ و٣٤٩ و٣٥٢، الرحيق ص١٥٢ ـ ١٥٤.

○ بيعة العقبة الثانية:

ولما حان موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من البعثة، تساءل المسلمون من أهل المدينة: حتى متى رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة؟ ووافى الموسم في ذلك العام من أهل المدينة، مشركيهم ومسلميهم خلق كثير.

فلما قدموا جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية، واعدوه بعدها في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة، بعد مضي ثلث الليل. فلما كان ليلة الميعاد باتوا مع قومهم، فلما مضى ثلث الليل خرجوا مستخفين حتى اجتمعوا في الشعب، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين. وجاء رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس رضي الله عنه وهو يومئذ على دين قومه، لكنه أراد أن يحضر أمر ابن أخيه، ويستوثق له. فلما اجتمعوا قالوا: تكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله ورغب في الإسلام. ثم قالوا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة. فبايعوه.

ثم طلب منهم أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، ليكونوا كفلاء على قومهم، فاختاروا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أنتم كفلاء على قومكم، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا الكفيل على قومي». ثم رجعوا إلى المدينة[1].

---

(١) الزاد ١/ ١٠٠ و٣/ ٤٦ ـ ٤٧، الحدائق ١/ ٣٩ ـ ٤٠ و٣٥٦ و٣٦٣، مختصر السيرة، ص١٥٤، الرحيق ص١٦١.

(٢) الزاد ١/ ١٠٠ و٣/ ٤٧ ـ ٤٨، الحدائق ١/ ٣٥ و٤٠ ـ ٤١ و٣٥٦ ـ ٣٥٨، الرحيق، ص١٦٤ و١٦٦، مختصر السيرة، ص١٥٥.



الدور المدني

ويحتوي على ما يلي:

- **الفرع الأول: الهجرة إلى المدينة**
- **الفرع الثاني: الإذن بالقتال.**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة [أخرجه البخاري].



الهجرة إلى المدينة

○ طلائع الهجرة:

فلما أسلم الأنصار، أمر النبي ﷺ من كان بمكة من المسلمين بالهجرة إلى المدينة، وقال لهم: إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها، فبادروا إليها، وخرجوا أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً سراً، إلا قليلاً منهم، هاجروا علناً، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهاجر معه جماعة. وطفق المشركون يحولون بينهم وبين خروجهم، فلم يبق في مكة إلا من حبسه المشركون[(١)].

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال للمسلمين: إني رأيت دار هجرتكم، سَبَخَة ذات نخل، بين لابتين ـ وهما الحرتان ـ. فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة [أخرجه البخاري].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب رسول الله ﷺ، الحديث [أخرجه البخاري].

○ هجرة النبي ﷺ:

أقام النبي ﷺ بمكة ينتظر الإذن من ربه في الهجرة، وبقي معه

---

(١) الزاد ٣/ ٥٠.

أبو بكر وعلي رضي الله عنه، واجتمعت قريش في دار الندوة للتشاور في أمره، ثم اتفقوا على أن يخرجوا من كل قبيلة شاباً جلداً، يقفون أمام باب بيته، فإذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه بين القبائل، فيعجز قومه عن طلب الثأر، ويرضون بالدية، غير أن الله سبحانه أرسل جبريل عليه السلام فأخبره بما قصدوا، وبلغه الأمر بالهجرة ليلاً. وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

وجاء رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه في حر الظهيرة، وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج، فسأله أبو بكر رضي الله عنه الصحبة، فأجابه وأمره بالتجهُّز للرحلة، وواعده وقت السحر، ثم خرجا ومكثا بغار ثور ثلاثة أيام لتهدأ العيون. وطلبه المشركون أشد الطلب وأخذوا عليه الطرقات بالرصد، وجعلوا جوائز لمن يأسره أو يقتله، ومروا على غارهما، فأعمى الله أبصارهم عنهما. وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وعلمت الأنصار بقدومه، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينظرون حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد أن أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود، على أُطم من آطامهم، لأمر ينظر إليه، فبصُر برسول الله ﷺ وصاحبه، يزول بهما السراب، فلم يملك أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جَدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل في بني عمرو بن عوف، ولبث فيهم بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد، وصلى فيه[1].

---

(١) ذكر الحاكم أن خروجه من مكة كان بعد العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منها. قال: =

وقيل في المدينة: جاء رسول الله، جاء رسول الله، وأشرفوا ينتظرون، وارتحل رسول الله ﷺ من قباء راكباً راحلته، وعندما وصل إلى المدينة صعد الرجال والنساء، فوق البيوت، وتفرق الغلمان في الطرقات ينادون: جاء محمد رسول الله.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ثم قدم رسول الله ﷺ؛ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء [أخرجه البخاري].

وتنازع القوم أيهم ينزل عليه، فسار يمشي معه الناس، حتى بركت ناقته جانب دار أبي أيوب الأنصاري، فنزل عنده، ولم يزل في منزله حتى بني مسجده ومساكنه بجواره، وكانت إقامته عنده شهراً(١).

○ المؤاخاة:

لم يكن معنى الهجرة سوى الاستجابة لله ولرسوله ﷺ والتضحية بالأموال، والنجاة بالدين والبدن، غير أن الله سبحانه عوضهم خيراً، فلقوا عند الأنصار خير دار وخير جوار، أحلوهم في بيوتهم، وقاسموهم أموالهم، بل آثروهم على أنفسهم، فما نزل مهاجر على أنصاري إلا بقرعة. وبذلك أثنى الله سبحانه عليهم في كتابه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

= وخرج لهلال ربيع الأول وكان خروجه يوم الإثنين .اهـ. وفي البخاري: نزل في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين من شهر ربيع الأول.
وفي الحدائق ١/ ٤٢: هاجر في أواخر صفر من السنة الرابعة عشرة من البعثة، ودخل عوالي المدينة يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول.

(١) أصل العبارات من حديثي أنس وعائشة رضي الله عنهما. وانظر الزاد ١/ ١٠١ و٣/ ٥٠ ـ ٦١، جامع الأصول ١١/ ٥٨٣ ـ ٦٠٢، الحدائق ١/ ٤١ ـ ٤٢ و٣٦٠ ـ ٣٦٣ و٣٦٦.

○ الهجرة في سفر إشعياء:

جاء في سفر إشعياء ما يشير إلى نبوة محمد ﷺ وهجرته وانتصاره على مشركي قريش في غزوة بدر:

٢١/١١ ـ ١٣: وحي قادم من جهة دومه ـ ـ ـ وحي قادم من جهة بلاد العرب، في الوعر، في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين.

٢١/١٤ ـ ١٥: هاتوا ماء لملاقاة العطشان، يا سكان أرض تَيمْاء، وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدود، ومن أمام شدة الحرب.

٢١/١٦ ـ ١٧: فإنه هكذا قال لي السيد: في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قِيدار. وبقية عدد قسي أبطال قيدار تقل.

فدومة مدينة صغيرة، تقع شمال الجزيرة العربية، وصل إليها المسلمون إبان غزوة تبوك مع النبي ﷺ، وبلاد العرب هي شبه الجزيرة التي سكنوها وعرفت بهم، والوحي قام من بلاد العرب، وليس قادماً إليها، ثم حدد مكان الوحي، ووصفه بأنه وَعْر. وفي ذلك إشارة واضحة إلى نبوة محمد ﷺ؛ فأول ما نزل عليه الوحي في غار حراء من جبال فاران قرب مكة المكرمة الواقعة في واد غير ذي زرع، حيث ولد محمد ﷺ، أما مبيت قوافل الدادانيين في بلاد العرب، ففيه إشارة إلى عالمية رسالة محمد ﷺ ومبيت قوافل الحجاج في منى، وفي الجملتين ١٤ و١٥ إشارة واضحة إلى هجرته ﷺ وهجرة أصحاب ﷺ من مكة، واستقبال أهل المدينة لهم، فإنهم هربوا من ظلم قريش ومطاردتهم لهم، ولا سيما الرسول ﷺ فإنهم أرادوا قتله، وأمعنوا في مطاردته كما سلف، أما تيماء، فهي منطقة في وادي القرى، من أعمال المدينة المنورة.

وفي الجملتين ١٦ و١٧ إشارة واضحة إلى غزوة بدر التي وقعت بعد سنة من الهجرة، بين المسلمين وكفار قريش الذين طاردوا المسلمين إبان

الهجرة، فأعز الله المسلمين في تلك الغزوة رغم قلة عددهم وعدتهم، وخذل المشركين، فقتل من صناديدهم سبعون، وأسر سبعون، وهرب الباقون. ففني مجد كفار قريش، وقل عدد أبطالهم بعد ذلك.

وقيدار هو ابن إسماعيل بن إبراهيم، فهو جد قبيلة قريش التي منها النبي ﷺ[1] كما سلف في نسب النبي ﷺ.



(١) ميثاق النبيين، ص٢٩٤ ـ ٢٩٦.

الإذن بالقتال

أقام النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بضع عشرة سنة يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وينذرون بالدعوة من غير قتال، ويجادلون بالتي هي أحسن، وقد لحقت به وبأصحابه الإحن والمحن، فصبروا على ما أوذوا في جنب الله، وكانوا بين كاتم إيمانه وبين معذب أو مهاجر. ومن فكر منهم بالدفاع عن نفسه، قيل له كما ورد في الآية: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ [النساء: ٧٧] ومن الحكمة في الأمر بالكف عن القتال في بدء الدعوة ما يلي:

١ ـ كان المسلمون قلة في مكة، وهم محصورون.

٢ ـ تدريب النفوس على الصبر والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

٣ ـ كان المسلمون في مكة يعيشون مع أهليهم في مساكنهم، وكان أهلوهم يضطهدونهم ليفتنوهم عن دينهم، فلو أذن لهم بالقتال لقامت معركة في كل بيت. ولذلك أمروا بالصبر على الأذى والصفح عن الجاهل.

ولما هاجروا إلى المدينة فراراً بدينهم وبدنهم صادرت قريش أموالهم، وهددتهم وصدتهم عن المسجد الحرام، فرمتهم العرب عن قوس واحدة استجابة لقريش، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في السلاح.

وفي أول السنة الثانية للهجرة أذن الله سبحانه لنبيه وللمهاجرين في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فأنزل عليهم قوله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، والباء في الآية للتعليل، أي: أذن لهم في القتال بسبب ظلم الكفار لهم. أو إنما أحل القتال لهم لأنهم ظلموا[(١)].

ثم أنزل سبحانه قوله: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] أي: حتى لا يفتتن مؤمن عن دينه، ويُعبد الله وحدَه، لا يعبد معه غيره، ثم حض الأنصار على الجهاد ومؤازرة المهاجرين في الدفاع عن أنفسهم، وتبليغ دعوة ربهم، فأنزل قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠، ١١] فكان ما كان من الحروب بين الفريقين، ثم فرض الله سبحانه الجهاد العادل الرحيم، للمحافظة على الكيان وتبليغ الدعوة بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩].

ومن أجل وصية النبي الكريم ﷺ أمته في الحرب بعدم قتل طفل أو امرأة أو كاهن أو حيوان أو قطع شجرة مثمرة، ونحو ذلك، وامتثالهم لأمره، ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من المسلمين[(٢)].

---

(١) اختلف العلماء في أول آية نزلت في القتال، فعن الربيع بن أنس وغيره أن أول آية نزلت هي قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عمّن كف عنه. والآية من سورة البقرة: ١٩٠.
وروى جماعة من الصحابة ﷺ منهم أبو بكر وابن عباس وسعيد بن جبير أن أول آية نزلت في القتال هي قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾.. الآية.
وصحح ابن العربي أن أول آية نزلت هي آية الحج، ثم نزل ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ فكان القتال إذناً، ثم أصبح فرضاً بعد ذلك. وانظر تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي الصابوني ١/ ٢٢٦ ـ ٢٣٠.

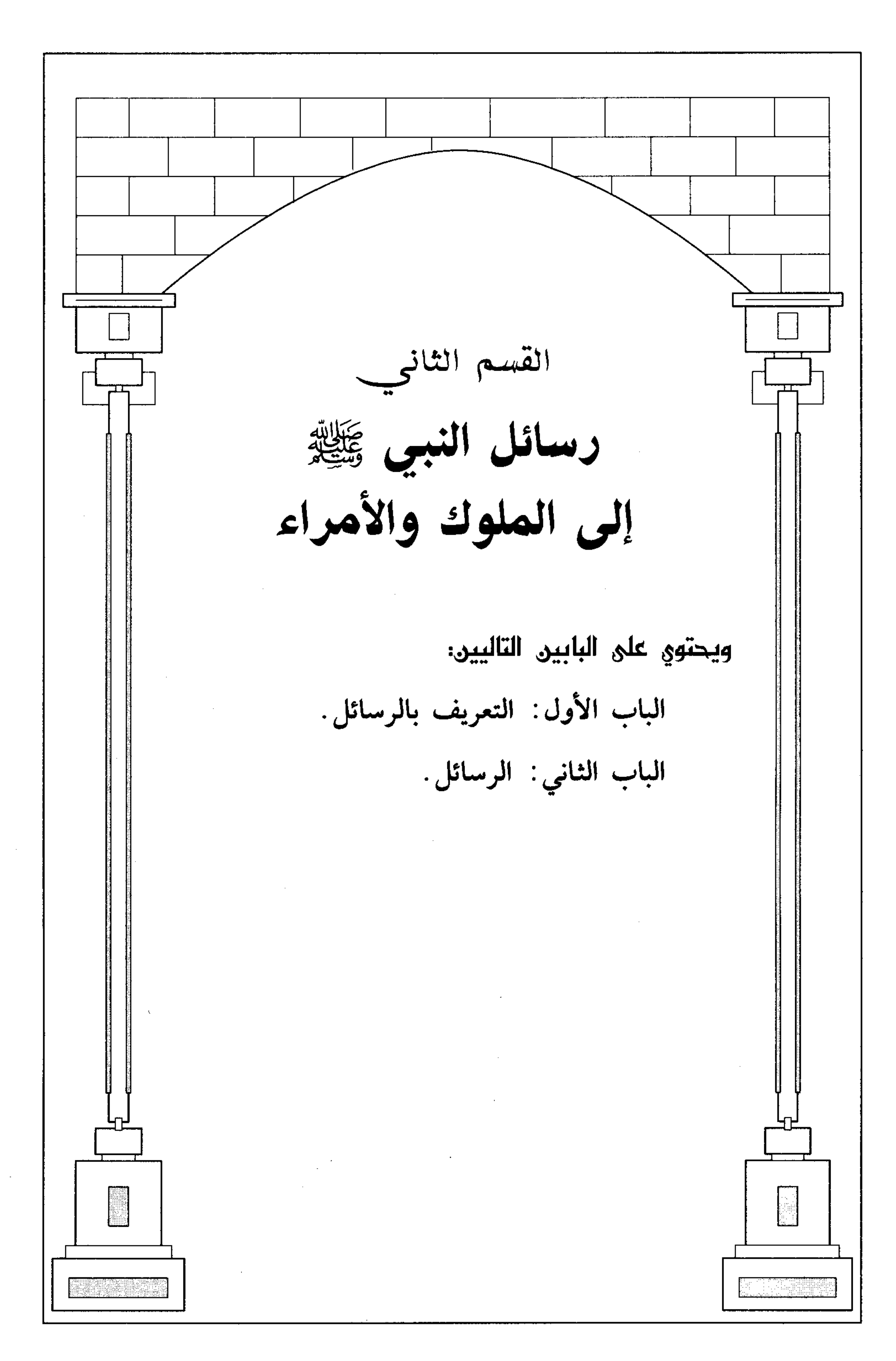
(٢) كما قال غوستاف لوبون. وانظر الزاد ٣/ ٦٩ ـ ٧٢، الحدائق ١/ ٤٣ و٢/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨، تهذيب سيرة ابن هشام ١/ ١١١ ـ ١١٢.

ومن الجدير بالذكر أنه لا يذكر في القرآن الكريم لفظ القتال أو الجهاد إلا وهو مقرون بعبارة «في سبيل الله» ليدل على أن الغاية منه مقدسة نبيلة، ألا وهي إعلاء كلمة الله، وليس السيطرة أو المغنم أو الاستعلاء في الأرض[1].



---

(١) تفسير آيات الأحكام ١/٢٢٦ ـ ٢٣٠.



القسم الثاني

رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء

ويحتوي على البابين التاليين:

الباب الأول: التعريف بالرسائل.

الباب الثاني: الرسائل.



الباب الأول

التعريف بالرسائل

التعريف بالرسائل والكتاب والسفراء

○ أثر صلح الحديبية في الدعوة:

كان صلح الحديبية بين النبي ﷺ وكفار قريش ومن والاهم فتحاً عظيماً للدعوة، فقد أراح الله المسلمين من عناء القتال، وأتيحت الفرصة للنبي ﷺ لتوسيع نطاق الدعوة داخل الجزيرة وخارجها، فقد كان الفرس يحتلون أجزاء كبيرة من جنوب الجزيرة، وكان الرومان يحتلون أجزاء أخرى من شمالها، وانتشرت ديانة المحتلين في الأقاليم التي أخضعوها لنفوذهم، فسادت المجوسية في الأقاليم التابعة للفرس، والنصرانية في الأقاليم التابعة للروم، وكان أمراء هذه الأقاليم يُعَيَّنون من قبل الدولة الحاكمة، وينصاعون لأوامرها، فرأى النبي ﷺ أن يكتب إلى ملوك الدول الكبرى، وإلى أمراء الولايات المحتلة، وإلى سائر زعماء عصره يدعوهم إلى الإسلام، فكان صلح الحديبية بداءة للمد الإسلامي.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى. [أخرجه مسلم].

أضف إلى ذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين في تلك الهدنة، وسمعوا منهم عن أخلاق النبي ﷺ، ودلائل نبوته، وعن محاسن دينه وشريعته، فأسلم جماعة من رؤوسهم، فكانوا قدوة لأتباعهم.

○ تاريخ الرسائل:

لم تكن رسائل النبي ﷺ مؤرخة بتاريخ، إذ لم يكن ثمة تاريخ معتمد أو متفق عليه بين العرب، ومع اتفاق المؤرخين على أن النبي ﷺ بدأ بإرسال الرسائل مرجعه من الحديبية، فثمة اضطراب في الروايات التي ذكرت تاريخ إرسالها(١).

○ كتّاب النبي ﷺ:

لم يكن النبي ﷺ يعرف القراءة ولا الكتابة، بل كان أمياً كما سلف، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢] أي: أميّاً مثلهم، ولذلك اتخذ كتاباً من أصحابه رضي الله عنهم بلغ عددهم نيفاً وأربعين، يكتبون له في مجالات شتى، فمنهم من يكتب الوحي، وكان على رأسهم خمسة الخلفاء الأوائل، ومنهم من كان يكتب ما يعرض له من حوائج وأمور طارئة، ومنهم من كان يكتب المعاملات وسائر العقود، وكان منهم من يختص للكتابة بين يديه، ومنهم من كان يكتب نيابة عن غيره(٢).

---

(١) روى ابن سعد في الطبقات ١/ ٢٥٨ من طريق شيخه الواقدي: أن النبي ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتباً. . . فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع. وذكر الطبري في تاريخه ٢/ ٦٤٤ ـ ٦٤٥ من رواية الواقدي أيضاً أن بعث هؤلاء النفر كان في ذي الحجة. أي سنة ست، فالإرسال منحصر بين أواخر السنة السادسة وأول السنة السابعة كما ذكر ابن القيم في الزاد ١/ ١١٩ ـ ١٢٠. وذكر صاحب الرحيق أن المنصورفوري اختار أنه أرسل الرسل في غرة المحرم سنة سبع قبل خروجه إلى خيبر بأيام. ولا شك أنه استغرق زمناً بعد ذلك. وانظر الحدائق ٢/ ٦٢٢ و٦٢٧.

(٢) إعلام السائلين ص٢٥، الرسائل النبوية ليوسف السبكي ص٣٦ ـ ٣٨.

○ الخاتم:

لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الملوك والأمراء قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، نقش عليه (محمد رسول الله)، وكان النقش ثلاثة أسطر، جاء لفظ (الله) في أعلى الدائرة، وفي الوسط كلمة (رسول)، وفي الأسفل كلمة (محمد)، فكأنك تقرؤه من الأسفل إلى الأعلى، وقد حفرت الأحرف على الفص معكوسة الكتابة، فعندما يختم به، يغطي المداد دائرة على الرق، فتظهر الأحرف المحفورة بشكل صحيح[١]، والظاهر أن الحكمة من تعدد الأسطر كون الفص مستديراً، ولو كانت سطراً، لكان مستطيلاً لكثرة الحروف.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان نقش خاتم النبي ﷺ ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر. [أخرجه البخاري والترمذي][٢].

---

(١) زاد المعاد ١/١١٩ ـ ١٢٠، طبقات ابن سعد ١/٢٥٨.

(٢) روى الإمام محمد بن حديدة الأنصاري في (المصباح المضيء) أن خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه أهدى رسول الله ﷺ خاتمه الذي نقش عليه محمد رسول الله.

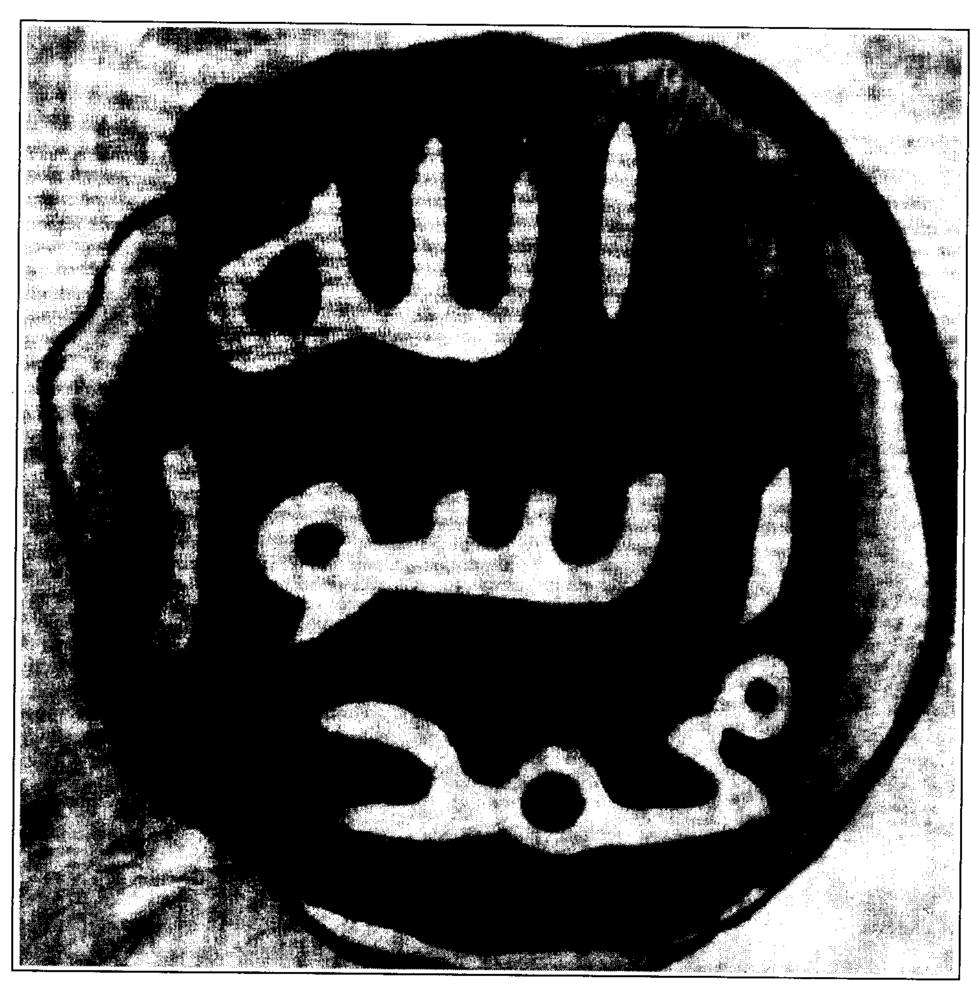
واختلفت الروايات في موضع الخاتم من يده ﷺ؛ روى عامة الصحابة رضي الله عنهم أنه كان يضعه في خنصر يده اليسرى، وروى جماعة ـ منهم ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما ـ أنه كان يضعه في خنصر يده اليمنى، وجمع البغوي بأنه ﷺ فعل كلا الأمرين، وكان التختم في اليسرى أكثر، وهو محمول عند أهل العلم على الإباحة، وإنما اختلفوا في الأفضل، غير أنهم اتفقوا على أن السنة للرجل جعل خاتمه في خنصره. وانظر جامع الأصول ٤/٧٢٣، الثمر الداني ص٥٠١، حاشية العدوي ٢/ ٤١٥، الفتاوى الهندية ٥/ ٣٣٥.

وبقي هذا الخاتم في يده ﷺ ثم في يد أبي بكر، ثم في يد عمر، ثم في يد عثمان رضي الله عنهم إلى أن وقع من يده في بئر أريس في السنة التي توفي فيها، فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من وَرِق، فكان في يده، ثم كان [بعد] في يد أبي بكر، ثم كان [بعد] في يد عمر، ثم كان [بعد] في يد عثمان، حتى وقع في بئر أريس، نقشه محمد رسول الله [أخرجه الشيخان وأحمد والبيهقي].

وعند أحمد: فلما كان عثمان، جلس على بئر أريس. قال: فأخرج الخاتم، فجعل يعبث به فسقط. قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان، فنزح البئر، فلم نجده.

وبئر أريس يبعد قليلاً عن مسجد قُباء الحالي من الناحية الشمالية الغربية، قرب إشارة المرور، وقد اندرس وأصبح ضمن الشارع.



صورة مكبّرة لختم النبي محمد ﷺ

○ السفراء:

لدى استعراض الرسائل والسفراء، يتبين أن النبي ﷺ كتب إلى كل ملك أو أمير بما يناسب حاله، ويصلح شأنه، واختار لسفاراته ناساً من أعقل أصحابه، وأحسنهم حديثاً، وأطلقهم لساناً، وانتقى لكل قوم رسولاً ممن كانوا يترددون عليهم، ولهم معرفة وخبرة بأحوالهم وعاداتهم، فبعث كل رسالة مع أريب يحسن القول وإيراد الحجة والإجابة، فكان كل منهم حكيماً جاء من عند حكيم[1].

---

(١) الزاد ١/ ١٢٠.

ولم يكن اختلاف اللغات عائقاً، فقد كثر اختلاط العرب ـ ولا سيما التجار ـ بالروم والفرس والأحباش والأقباط، أضف إلى ذلك وجود المترجمين في بلاط الملوك، فالثابت أن هرقل استدعى الترجمان، وذكرت المصادر أن المقوقس دعا كاتباً يعرف العربية لكتابة الرد كما سيأتي إن شاء الله.

○ توثيق الرسائل:

إن نسبة شيء إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو صفة أو رسالة يجب أن تخضع إلى قواعد صارمة في التدقيق والتحقيق، ورسائل النبي ﷺ في مجملها موثقة توثيقاً يرفعها إلى مستوى المسلمات التاريخية والحقائق الأثرية التي لا تقبل الريب، وذلك لتضافر الأدلة على صحتها بصورة عامة، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ تواترَ خبر هذه الرسائل في أمهات المصادر القديمة، واستفاض ذكر نصوص بعضها. ومنها ما يلي:

أ ـ دواوين السنة النبوية التي لا يعلى عليها في التثبت والتوثيق، اللذين انفرد المسلمون بهما في نقل الأخبار، كالصحيحين والسنن والمسانيد وغير ذلك[1].

---

(١) لا تثبت الأخبار التاريخية إلا بأحد أمرين: اتصال السند برواة موثقين، أو عن طريق الأحافير والآثار التي ينقب عليها العلماء، ويحققون فيها. وعلم الإسناد في نقل الروايات والأخبار ظاهرة اختص بها المسلمون، إذ الأسس العامة والأركان الرئيسة لهذا العلم مذكورة في الكتاب والسنة، فكان الصحابة رضي الله عنهم يتثبتون في نقل الأخبار وقبولها، ثم صار الإسناد هو الأصل المعتمد عليه في قبول الحديث، ثم ظهر علم (الجرح والتعديل) والغرض منه الكشف عن أحوال الرواة، وتمييز صاحب الأهلية من غيره، ومعرفة المتصل والمنقطع من الأسانيد، فلا يقبل حديث في سنده راوٍ لا يعرف حاله، ثم توسع هذا العلم وتفرع، حتى نشأ علم مصطلح الحديث وأصوله، وهو يُعنى بقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول أو =

ب ـ كتب السيرة والتاريخ والأدب، مثل طبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير، وتاريخ اليعقوبي.

ج ـ المراجع التاريخية غير العربية، المختصة بتاريخ الجهات التي أرسل النبي ﷺ إليها، فقد أكدت ذلك.

٢ ـ إن بعض التفصيلات التي تضمنتها أخبار الرسائل، قد أكدتها الوقائع، وظهر أثرها للعيان، وبخاصة الهدايا التي أرسلها بعض الملوك والأمراء مع الإجابات التي حملها السفراء لدى عودتهم، وما نتج عنها، كما سيأتي إن شاء الله.

٣ ـ تم العثور على خمسة رقوق، تتضمن رسائل النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المقوقس عظيم القبط، وقد أُجريت لها دراسات وأبحاث، اشترك فيها عدد من العلماء والخبراء المتخصصين، من المسلمين والمستشرقين، أكدت صحة بعضها، واختلف الرأي في بعض آخر. كما سيأتي إن شاء الله.

هذا، ولم تذكر المصادر القديمة شيئاً عما آلت إليه أصول الرسائل، بعد أن وصلت إلى من أرسلت إليهم، غير أنه من المؤكد لدى الكثير من الباحثين أن بعضها لا يزال باقياً إلى اليوم في أماكن متفرقة من العالم، أو متوارثاً لدى بعض الأسر، وعلى الباحث التأكد من ذلك وفق الطريقة التالية:

= الرد، على نحو لا مجال بعده للحيطة أو التثبت. وأهل الكتاب لا يعرفون هذا النوع من العلم البتة، فليس لديهم ما يشبه السند لكتابهم المقدس يعهد به، وذلك بسبب توالي النكبات عليهم وعدم وجود حفظة في الصدور، فإنجيل متى على سبيل المثال، ليس لديهم منه سوى الترجمة اليونانية، مع أنهم متفقون على أنه كتب بالآرامية، ولا يعرفون من هو المترجم، وإنما يأخذون بالظن ويقولون: لعله متى أو غيره.

أ ـ من حيث الدلائل الظاهرة:

١ ـ يطابق نص الرسالة بما ورد في كتب السنة والسيرة والتاريخ وغيرها من الكتب الموثقة.

٢ ـ يحدد صفة الخط الذي كتبت به، ويقارنه مع ما عرف من خطوط الرسائل الموثقة، والخطوط القديمة، ويتأكد من أثر الخاتم.

٣ ـ يمعن النظر في فحص الرق وهيئته وما يظهر عليه من علامات القدم.

٤ ـ دراسة مستفيضة للسند الذي آلت الرسالة عن طريقه إلى مكتشفها أو من يملكها. وأربعة العناصر هذه تعين إلى حدٍّ على تقويم الوثائق المكتشفة، وتميز صحيحها من مزيفها، غير أنه لا بد من تعزيز ذلك.

ب ـ من حيث الأبحاث المختبرية:

فإن للعلم الحديث أساليب متنوعة، تحدد معلومات دقيقة عن التاريخ الذي كتبت فيه الرسالة، والمادة المستعملة في الكتابة، ونوع الرق الذي كتبت عليه، وأهم الأمور التي يستوثق منها الباحث ما يلي:

١ ـ عذرية الوثيقة، أي أنها أصلية لغرضها، وليست رقاً قديماً، غسل بالمواد الكيماوية، ثم أعيدت كتابته عليه، ويتم ذلك بالأشعة البنفسجية، وتحديد خصائص الحبر.

٢ ـ العمر الزمني للوثيقة، وذلك عن طريق فحص الانكماش الجلدي أو الفحص الكربوني، وإن كان بشكل تقريبي.

على أن الوثيقة التي يثبت قدمها، ولا تثبت عذريتها، لا تخلو من قيمة تاريخية؛ لأنها ربما تكون نسخة عن أصل أقدم منها، وهي تشير إلى صفات كانت شائعة في عصر كتابتها.

وصفوة القول: إن موضوع الرسائل النبوية ثابت ثبوتاً قطعياً مسلماً به، غير أن بعض كتب التاريخ والأدب ونحوها، تذكر تفاصيل كثيرة عن صفة وصول الرسالة، وعن السفير، وعن الحوار الذي جرى بينه وبين المرسل إليه، وهي أمور تستدعي النظر والتمحيص الموضوعيين. وعلى

الباحث أن يجتهد في ذلك، فيوثق، أو يرجح، أو يتحفظ، لكن ضمن التسليم بصحة الخبر العام؛ لأنه من اليقينيات[1].

○ الصفات الجامعة للرسائل:

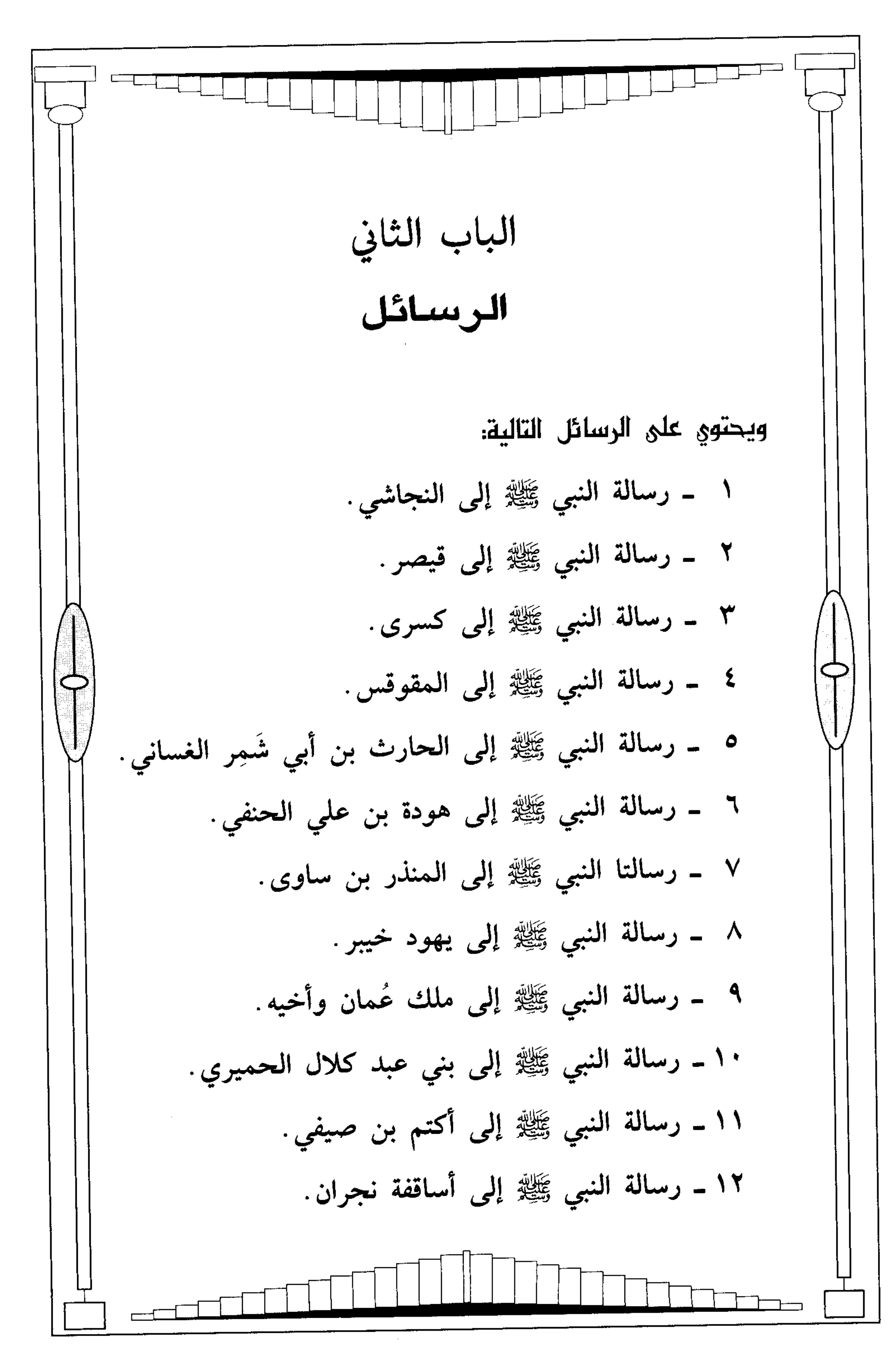
الرسائل بسيطة بدائية المظهر والكتابة، ليس فيها تحلية أو ترتيب، ويظهر ذلك فيما يلي:

- كتبت بالمداد الأسود على الرق المصقول الناعم، وكانت الجلود أكثر شيوعاً في الكتابة، لكثرة وجودها وسهولة الكتابة عليها، وتنوع مساحتها، وخفة وزنها، ومتانتها.
- كتبت بالخط البدائي البسيط الذي كان معروفاً لدى العرب آنذاك، وهو الخط المدني والكوفي، والكتابة واضحة، يمكن للباحث أن يقرأها.
- الأسطر ليست مستقيمة تماماً، وبعض الكلمات مائل، وبعضها يقع بين سطرين.
- تراوح عدد الأسطر فيها بين سبعة في رسالته ﷺ إلى هرقل، وخمسة عشر في رسالته إلى كسرى.
- وتراوح عدد الكلمات بين أربع وثلاثين في رسالته إلى صاحب اليمامة ـ وهي أصغر الرسائل ـ وسبع ومائة في رسالته إلى النجاشي. وهي الطولى.
- بدئت جميعها بالبسملة، وانتهت بالخاتم.
- صدرت بذكر المرسل والمرسل إليه، ثم السلام، وبعد ذلك أما بعد، ثم التحميد.
- احتوى بعضها على آيات قرآنية[2].

---

(١) عز الدين إبراهيم، ص١٧ ـ ١٩.

(٢) كانو.



الباب الثاني

الرسائل

ويحتوي على الرسائل التالية:

١ ـ رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي.

٢ ـ رسالة النبي ﷺ إلى قيصر.

٣ ـ رسالة النبي ﷺ إلى كسرى.

٤ ـ رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس.

٥ ـ رسالة النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني.

٦ ـ رسالة النبي ﷺ إلى هودة بن علي الحنفي.

٧ ـ رسالتا النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى.

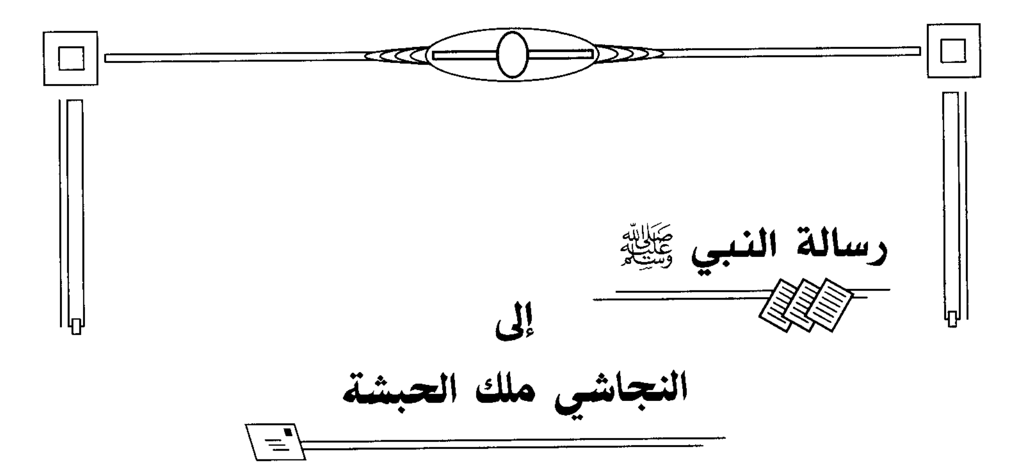
٨ ـ رسالة النبي ﷺ إلى يهود خيبر.

٩ ـ رسالة النبي ﷺ إلى ملك عُمان وأخيه.

١٠ ـ رسالة النبي ﷺ إلى بني عبد كلال الحميري.

١١ ـ رسالة النبي ﷺ إلى أكتم بن صيفي.

١٢ ـ رسالة النبي ﷺ إلى أساقفة نجران.



رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

هي أولى الرسائل التي أرسلها النبي ﷺ من المدينة المنورة إلى الملوك والأمراء، يدعوهم فيها إلى الإسلام، فقد أرسلها في آخر السنة السادسة للهجرة، أو في أول المحرم من السنة السابعة، مع عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه فكان أول مبعوث بعد الحديبية(١).

(١) الزاد ١/١٢٠، أسد الغابة ٤/١٩٣، ١٩٤. الرحيق، ص٣٩٢. وسبقت ترجمة النجاشي لدى الكلام عن هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة. وذكر ابن القيم في هداية الحيارى ص٢٦٢ أنه أرسلها في شهر ربيع الأول سنة سبع من الهجرة.



○ نص الرسالة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة[١]. السلام على من اتبع الهدى[٢]. أما بعد[٣]، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلا هو[٤]، الملك القدوس[٥] السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول[٦] الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه[٧] كما خلق آدم بيده[٨]، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتوقن بالذي جاءني[٩]، فإني رسول الله، وإني أدعوك

---

(١) النص الذي أثبتناه من واقع الصورة التي لدينا. وثمة اختلاف يسير بينه وبين بعض الروايات في بعض الكلمات، ففي بعضها: ملك الحبشة.

(٢) في بعض الروايات: سِلْمٌ أنت.

(٣) خلت بعض الروايات من عبارة «أما بعد».

(٤) أي أحمد الله حمداً يصل خبره إليك. وربما كان ذلك بسبب إيوائه المسلمين الذين هاجروا إليه وإكرامهم، أو لأنه أسلم على يد جعفر رضي الله عنه، وكتم إسلامه.

(٥) القدوس ـ بضم القاف، وتشديد الدال ـ: الطاهر من العيوب والمنزه عنها.
السلام: ذو السلام، أي الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كلّ آفة.
المؤمن: أي الذي يَصْدُق عبادَه وعدَه، فهو من الإيمان، أي التصديق. أو يؤمنهم يوم القيامة من العذاب، فهو من الأمانة ضد الخوف.
المهيمن: الشهيد. وقيل: الأمين، فأصله مؤتمن، ثم قلبت الهمزة هاء، وقيل: الرقيب والحافظ. انظر: جامع الأصول ٤/١٧٦.

(٦) البتول: المنقطعة للعبادة.
وقد سبق الكلام عن الروح والكلمة والنفخ والمراد بذلك في الحاشية لدى ذكر هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة، والحديث الذي دار بين جعفر رضي الله عنه والنجاشي رحمه الله.

(٧) وفي بعض الروايات: «فحملت به، فخلقه من روحه ونفخه».

(٨) يشير إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩].

(٩) في بعض الروايات: «وتؤمن بالذي جاءني».

وجنودك إلى الله ﷻ. وقد بلغتُ ونصحت، فاقبلوا نصيحتي[1]. والسلام على من اتبع الهدى[2].

(محمد رسول الله)

○ السفير:

عمرو بن أمية الكناني الضمري، من أهل الحجاز، كان معروفاً في الجاهلية بالنجدة والشجاعة، شهد مع المشركين بدراً وأحداً، ثم أسلم منصرف المشركين من أحد، وأول مشهد شهده في الإسلام بئر معونة في السنة الرابعة من الهجرة، فأسرته بنو عامر، وأطلق سراحه عامر بن الطفيل، ثم شهد وقائع عديدة؛ كان ذا خفة ومهارة وجرأة، ولذلك بعثه النبي ﷺ وحده عيناً على قريش، فحمل خبيب بن عدي رضي الله عنه من الخشبة التي صلب عليها، ولم يشعر به أحد، أرسله النبي ﷺ إلى النجاشي، وهو أول الستة الذين أرسلهم في يوم واحد؛ توفي في المدينة المنورة، أواخر عهد معاوية رضي الله عنه عام ٥٥هـ ـ ٦٧٥م[3].

---

(١) في بعض الروايات: «فاقبل نصيحتي».

(٢) ورد نص هذه الرسالة في كثير من كتب الحديث والسيرة والتاريخ، منها ما يلي: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين للإمام محمد بن طولون الدمشقي ص٥٤، نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للزيلعي ٤/ ٤٢١، زاد المعاد ٣/ ٦٨٩، سفراء النبي وكتبه ورسائله ص٣٣، عيون الأثر ٢/ ٦٤، سيرة ابن كثير ٢/ ٤٢، المصباح المضيء لابن حديدة الأنصاري ٢/ ٣٣ ـ ٣٤، صبح الأعشى ٦/ ٣٧٩، محمد رسول الله ص١٤، مجموعة الوثائق السياسية ص٧٥، في صحبة النبي ﷺ ص١٢٨، تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ١٢١ ـ ١٢٢، تاريخ ابن خلدون تكملة الجزء الثاني ص٣٦، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢١٣، تاريخ الطبري ٢/ ٦٥٢، الوفاء بأحوال المصطفى لأبي الفرج بن الجوزي ٢/ ٧٢٤، مخطوطة السيرة النبوية للإمام الكازروني ص٢٣٣، جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي ص٤٠، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١/ ٦٢، إنسان العيون للحلبي ٣/ ٣٤٣، مخطوطة كتاب الوسيلة ج٢ باب ١٣، هداية الحيارى ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٣) أسد الغابة ٤/ ١٩٣، ١٩٤، الزاد ١/ ١٢٠، الإصابة ٤/ ٦٠٢.

○ الحوار بين السفير والنجاشي:

ذكر ابن إسحاق أن عمراً قال للنجاشي: يا أصحمة، إن علي القول، وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منّا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نَخَفْكَ على شيء إلا أمناه، وقد أقمنا الحجة عليك من قِبَل آدم، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور[1]، وفي ذلك موقع الخبر وإصابة الفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فوجه رسولاً إلى كسرى، ورسولاً إلى قيصر، ورسولاً إلى المقوقس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمِنَكَ على ما خافهم عليه، لخير سالف، وأجر ينتظر.

فقال النجاشي رحمه الله: أشهد بالله، إنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب، وإن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وإنه ليس الخبر كالعيان، ولكن أعواني من الحبشة قليل، فأنظرني حتى أكثر الأعوان، وألين القلوب.

ثم أخذ الرسالة ووضعها على عينيه، وهبط من سريره وجلس على الأرض تواضعاً وإجلالاً، ثم شهد شهادة الحق وقال: لو كنت أتمكن من الوصول إليه لفعلت[2].

وقد أشار النجاشي بقوله: «وإن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل» إلى ما في سفر إشعياء ٢١/٦ ـ ٧: لأنه هكذا قال لي السيد: اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى. فرأى ركاباً، أزواج فرسان، ركاب حمير، وركاب جمال، فأصغى إصغاءً شديداً.

---

(١) هذا يدل على أنه كان لديهم أناجيل أخرى غير الأربعة التي تعترف بها الكنيسة اليوم.

(٢) إعلام السائلين ص٥٣، ٥٤، الروض الأنف ٦/٣٨٧، السيرة الحلبية ٢/١٧٠، الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٥٩، الزاد ١/١٢٠ و٣/٦٠، ٦١، هداية الحيارى ص٢٧٨، ٢٧٩.

٩/٢١: وهو ذا ركاب من الرجال، أزواج فرسان، فأجاب وقال: سقطت بابل، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة، كسرها إلى الأرض.

وفي الترجمات القديمة: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها للمنحر.

فراكب الحمار هو المسيح عليه السلام فقد ركب الحمار، وتنقل في الجليل، ودخل القدس، كما تذكر أربعة الأناجيل، وراكب الجمل هو محمد ﷺ وركاب الجمل أصحابه رضي الله عنهم، ومحمد بركوب الجمل أشهر من المسيح بركوب الحمار، فقد ركبه في هجرته إلى المدينة، وفي كثير من غزواته، وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل، لا بالمسيح عليه السلام إذ لم يزل في إقليم بابل من يعبد الأصنام من عهد إبراهيم عليه السلام إلى أن فتحها أصحاب محمد ﷺ، ولما لم يكن بين المسيح عليه السلام ومحمد ﷺ نبي، والمسيح نازل بإذن الله في أمة محمد ﷺ فقد جمعا في سفر إشعياء في بشارة واحدة[١].

○ جواب النجاشي:

ثم إن النجاشي أرسل بهدية إلى النبي ﷺ وكتب إليه الجواب التالي:

[بسم الله الرحمٰن الرحيم] إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إلٰه إلا هو، الذي هداني للإسلام. أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثُفروقاً[٢]، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعث به

---

(١) ميثاق النبيين ص٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) الثُفروق ـ بضم الثاء ـ: قمع التمرة والبسرة، أو ما يلتصق به قمعها، وجمعه ثفاريق وكذلك التُفروق بالتاء، وكلاهما بوزن عصفور. وانظر: القاموس.

إليـنـا، وقـد قـربـنـا ابـن عـمـك وأصـحـابـه، وأسـلـمـت عـلـى يـديـه لله رب العالمين.

[وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقوله حق، والسلام عليك يا رسول الله][1].

○ دراسة الرسالة:

مكتوبة على جلد رقيق، بمقاس ١٣,٥/٩ إنش، بحروف كبيرة مدورة، لا صعوبة في قراءتها، تتكون من سبعة عشر سطراً، وفي أسفلها ختم مدور، قطره قرابة إنش، والحبر المستخدم في كتابتها بُنِّيُّ اللون[2]،

○ مآل الرسالة:

في شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٤٠م نشر المستشرق دنلوب

---

(١) ورد نص هذه الرسالة في السيرة لابن كثير ٢/ ٤٣، عيون الأثر ٣/ ٢٦٤، ٢٦٥، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ٣٤، ٣٥، نصب الراية ٤/ ٤٢١، مجموعة الوثائق ص٧٨، سفراء النبي وكتبه ورسائله ص٣٥، السيرة الحلبية ٣/ ٦٠، ٦١، تاريخ الطبري ٢/ ٦٥٣، الزاد ٢/ ٦٠، ٦١، إعلام السائلين ص٥٥، ٥٦، طبقات ابن سعد ١/ ١٥، وثمة اختلاف بسيط بين بعض ألفاظها، إلا أنها في الزاد خلت من البسملة في أولها، وانتهت عند قوله: «لله رب العالمين».

ونصها في هداية الحيارى ص٢٨٠: بسم الله الرحمٰن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله، من الله، وبركات الله الذي لا إلٰه إلا هو، أما بعد، فلقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام، فورب السماء والأرض، إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقاً، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعث به إلينا، قد قربنا ابن عمك، وأصحابه، وأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

(٢) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله ص١٠، وكتابه الحياة السياسية للرسول الأكرم باللغة الأردية المطبوع في كراتشي عام ١٩٨٢م.

مقالاً في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية، والجمعية الجغرافية الوطنية JRAS، أعلن فيه أنه حصل خلال زيارته لدمشق في (أكتوبر) عام ١٩٣٨م على رق جلدي، يملكه تاجر سوري، يظن أنها رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة، وذكر أن المالك السوري أخبره أنه حصل عليه من قسيس إثيوبي جاء إلى دمشق خلال الحرب العالمية الثانية، وقد نشر دنلوب صورة المخطوط وبيَّن أوصافه، وذكر أنه أخذه إلى إنجلترا، وعرضه على عدد من خبراء المتحف البريطاني والمستشرقين، ومنهم المستر بيل والمستر فلتون، والبروفيسور مارجوليوس والمستر روبن من جلاسكو، وهو يعرف العربية، ثم أعاده إلى مالكه السوري، وقد أكد دنلوب شكه في صحة المخطوط، غير أنه أضاف أنه بمقارنة هذه الرسالة برسالة النبي ﷺ ظهر له تشابه ولا سيما في الختم، وثمة اختلاف في الكتابة، ولعل ذلك يعود إلى اختلاف الكاتب[١].

ولنستمع الآن إلى من تشرَّف بالعمل على توثيق الرسالة، يحدثنا كيف آلت الرسالة إلى تلك الأسرة، وما عمله من أجل توثيقها، حيث يقول:

• بعد اطلاعي على ما كتبه الدكتور عز الدين إبراهيم في بحثه حول الدراسات المتعلقة برسائل الرسول ﷺ إلى ملوك عصره، وعلى ما نشره الدكتور محمد حميد الله في كتابه القيم: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، وكذلك الحياة السياسية للرسول الأكرم ﷺ، قمت بمراسلة المكتبة الإنجليزية التابعة لمتحف لندن، وطلبت منهم صورة عن ذلك المقال، فوصل إلي بعد إخراجه من الميكروفيش وتصويره، وتأكدت مما نشر في ذلك المقال.

---

(١) انظر بحث الدكتور عز الدين إبراهيم المستشار الخاص لسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية، المتعلق برسائل النبي ﷺ إلى ملوك عصره ص١٥، ومجموعة الوثائق السياسية ص١٠ وص٧٦، الوثيقة رقم ٢١.

• عادت بي الذاكرة إلى ما قاله صديق قديم لي من تلك الأسرة في مطلع شبابي أن جده رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهو من وجهاء مدينة حمص ـ كان قد أرسل الرسالة قبل وفاته بثلاثين عاماً خفية إلى لندن من أجل تقدير عمرها في أحد المتاحف، ثم أعيدت إليه، وكان حريصاً على عدم الإعلان عنها حال حياته مخافة ضياعها.

• استمر الأبناء والأحفاد على نهج جدهم في عدم الإعلان عنها، ثم تمكنتُ من إقناعهم بإعارتها لي، لأقوم بتوثيقها، حتى وصلت إلي وأنا في مدينة جُدة، فحمدت الله، وسررت بها كثيراً.

• عرضتها على الدكتور صلاح الدين المنجد، فأكد لي أن هذه الرسالة تتطابق مع الصورة التي نشرها المستشرق دنلوب، وتحمل المواصفات نفسها، غير أن قُرابة (إنشين) قد قصا من أسفلها، وأن الختم خف لونه، وربما لهذا السبب لم يظهر جيداً في الصور الفوتغرافية، واقترح علي الدكتور إجراء بحث الكربون المشع عليها للتأكد من صحتها.

• اتصلت بالدكتور عز الدين إبراهيم المستشار الثقافي لسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية، وهو الذي أشرف بتكليف منه على توثيق رسالة النبي ﷺ إلى هرقل، ثم ذهبت إلى (أبو ظبي) فاستقبلني الدكتور في مكتبه، وبعد أن اطلع على الرسالة، وافق رأيه رأي الدكتور صلاح الدين المنجد، وأشار علي بدوره أيضاً بالذهاب إلى لندن لإجراء الدراسات المختبرية عليها للتأكد من صحتها، وزودني بأسماء بعض الشخصيات المعول عليهم في هذا الأمر، وبعناوينهم.

• ما كدت أنتهي من كتابة هذه الكلمات حتى اتصل بي صديق من دولة الإمارات العربية، يخبرني أن ثمة رسالة سادسة من رسائل النبي ﷺ في متحف صلالة بعُمان، وهي رسالة النبي ﷺ إلى ملكي عمان، جيفر وعبد ابني الجلندي، وهي مكتوبة بنفس الخط الذي كتبت به رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي، وأن موقع الخاتم فيها قريب جداً من موقع

الخاتم في الرسالة التي بحوزتنا. قمت بمراسلة مدير المتحف فأرسل إلي كتيباً يحمل صورة تلك الرسالة، فتمت المقارنة، وتم التأكد، وستعرض الصورة لدى الحديث عنها إن شاء الله.

• هذا، ويبقى ما اقترحه الدكتوران الفاضلان، ألا وهو البحث العلمي بالوسائل الحديثة، لتحديد عمر الرق وزمن كتابة الحبر ونحو ذلك مما تستكمل به طرق التثبت والتوثيق لهذه الرسالة، كما حصل لأختها رسالة النبي ﷺ إلى هرقل؛ غير أن من تشرفوا باقتنائها، ألحوا علي في استعادتها، فأعدتها إليهم قبل أن أتمكن من ذلك.

○ تنبيه:

اضطربت الأقوال في تعيين شخصية النجاشي الذي كتب إليه النبي ﷺ، وفي عدد الرسائل وتاريخها، وفي بعض ما تضمنه بعضها.

والذي يظهر من مضمون الرسائل والإجابات عنها والروايات التاريخية أن الذي هاجر إليه المسلمون في صدر الإسلام الهجرة الأولى سنة خمس من النبوة، ثم الأخرى بعد ذلك بقليل، فأقرهم وأكرمهم، والذي رد وفد قريش هو أصحمة بن أبجر، كما سلف. ويظهر أيضاً أنه أرسل إليه أكثر من رسالة. فالأولى مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما هاجر إليه. وهذا نصها:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سِلْم أنت، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله. وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ونفراً من المسلمين، فإذا

جاءك فأقرهم، ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى[1].

ويبدو أنه أسلم على يدي جعفر ﷺ بعد الحديث الذي دار بينهما، فآمن وصدق وأمر قومه بذلك فأبوا، فكتم إيمانه هو وأهل بيته، لأنه كان من أعلم الناس بالإنجيل.

والرسالة الثانية أرسلها إليه يوم كتب إلى الملوك والأمراء مع عمرو بن أمية الضمري ﷺ بعد الحديبية آخر سنة ست للهجرة، وهي التي لدينا، وقد عرضنا صورتها، ويظهر فيها أثر الخاتم، وطلب منه أيضاً أن يرسل إليه من بقي من أصحابه، جعفراً ومن معه، فأرسلهم في سفينتين مع عمرو ﷺ فقدم بهم على النبي ﷺ وهو بخيبر.

---

(١) وردت هذه الرسالة في تاريخ الطبري ٣/ ٨٩، صبح الأعشى ٦/ ٣٧٩، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور حميد الله ص٧٥. عن الأثر ص٩٦، ٩٧.

وروى البيهقي عن ابن إسحاق النص التالي: «هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الإسلام، فإني رسوله، فأسلم تسلم، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك.

جاء في كتاب الرحيق ص٢٩٤، «والذي أورده البيهقي عن ابن إسحاق أشبه بالكتب التي كتبها النبي ﷺ إلى ملوك وأمراء النصارى بعد الحديبية، فإن فيه الآية الكريمة، كما كان دأبه في تلك الكتب، وقد ورد فيه اسم الأصحمة صريحاً. أما النص الذي أورده الدكتور حميد الله، فالأغلب عندي أنه نص الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ بعد موت أصحمة إلى خليفته، ولعل هذا هو السبب في ترك الاسم. وهذا الترتيب ليس عندي عليه دليل قطعي سوى الشهادات الداخلية التي تؤديها نصوص هذه الكتب، والعجب من الدكتور حميد الله أنه جزم أن النص الذي أورده البيهقي عن ابن عباس هو نص الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ بعد موت أصحمة إلى خليفته، مع أن اسم أصحمة وارد في هذا النص صريحاً، والعلم عند الله» اهـ.

عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه، والتزمه وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر». [أخرجه الحاكم، وأخرجه من طريق أخرى هو والطبراني في الكبير مرسلاً، وسنده صحيح].

ويظهر أن هذا الكتاب هو الذي أجاب عنه النجاشي، فأكد إسلامه، وبايعه، ولبى مطلبه[١].

توفي النجاشي هذا في شهر رجب سنة تسع للهجرة بعد غزوة تبوك قبل فتح مكة، أخبر النبي ﷺ أصحابه بوفاته يوم توفي، وصلى عليه صلاة الغائب في المدينة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات [متفق عليه، واللفظ للبخاري].

زاد في رواية: وقال: استغفروا لأخيكم.

وقد خلفه ملك آخر، فكتب إليه النبي ﷺ كتاباً آخر يدعوه فيه إلى الإسلام، ولا يعلم هل أسلم أو لا[٢].

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي يدعوهم إلى الإسلام، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه [أخرجه مسلم][٣].

---

(١) جاء في طبقات ابن سعد ص٢٥٨: قيل: إن النبي ﷺ كتب إليه أكثر من كتاب، وأمره في الثاني أن يزوجه أم حبيبة رضي الله عنها وأن يرسل إليه بمن قبله من المهاجرين، فلبى النداء، وزوجه ودفع المهر، وانظر تهذيب سيرة ابن هشام ٢/٣٥٩، هداية الحيارىٰ ص٢٦٢، ٢٦٣.

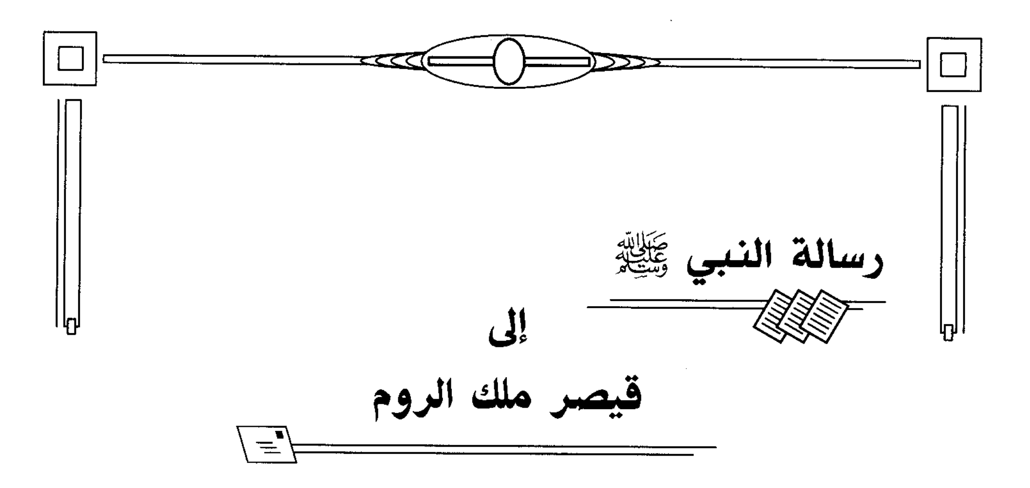
(٢) الزاد ١/١٢٠ و٣/٦٩٠، ويبدو أنه هو الذي خرق كتاب رسول الله ﷺ كما روى أحمد في المسند.

(٣) وفي رواية أخرى لمسلم بزيادة: ولم يقل: «وليس بالنجاشي الذي صلى عليه».

هذا. ويظهر أن الرسائل لما تعددت إلى النجاشي أصحم، وإلى من أتى من بعده تداخل لدى بعض الرواة نصوص بعضها ببعض، والنقل الصحيح الموثق بطريقة أهل الحديث، والصورة الموثقة ذات الخاتم هما الفيصل المعول عليه في هذا الأمر، ولا يضر الاضطراب الذي وقع لدى بعض الرواة في غيرهما[1].



(١) وانظر الزاد ١/ ١٢٠، و٣/ ٦٩٠، إعلام السائلين مع التعليق عليه ص٥٧، ٥٨ الحدائق ١/ ٧٢ و٢/ ٧٣٣، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ٨٨، الرحيق ص٣٩٢ ـ ٣٩٥، مجموعة الوثائق السياسية ص٧٨، تكملة الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون ص ٣٧، مكاتيب الرسول لعلي بن الحسين الأحمدي ١/ ١٢٣، ١٢٤، عمدة الأحكام للمقدسي ص١١٧، ١١٨، بين العرب والحبشة لعبد المجيد عابدين ص٧١، السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص٢٤٤.

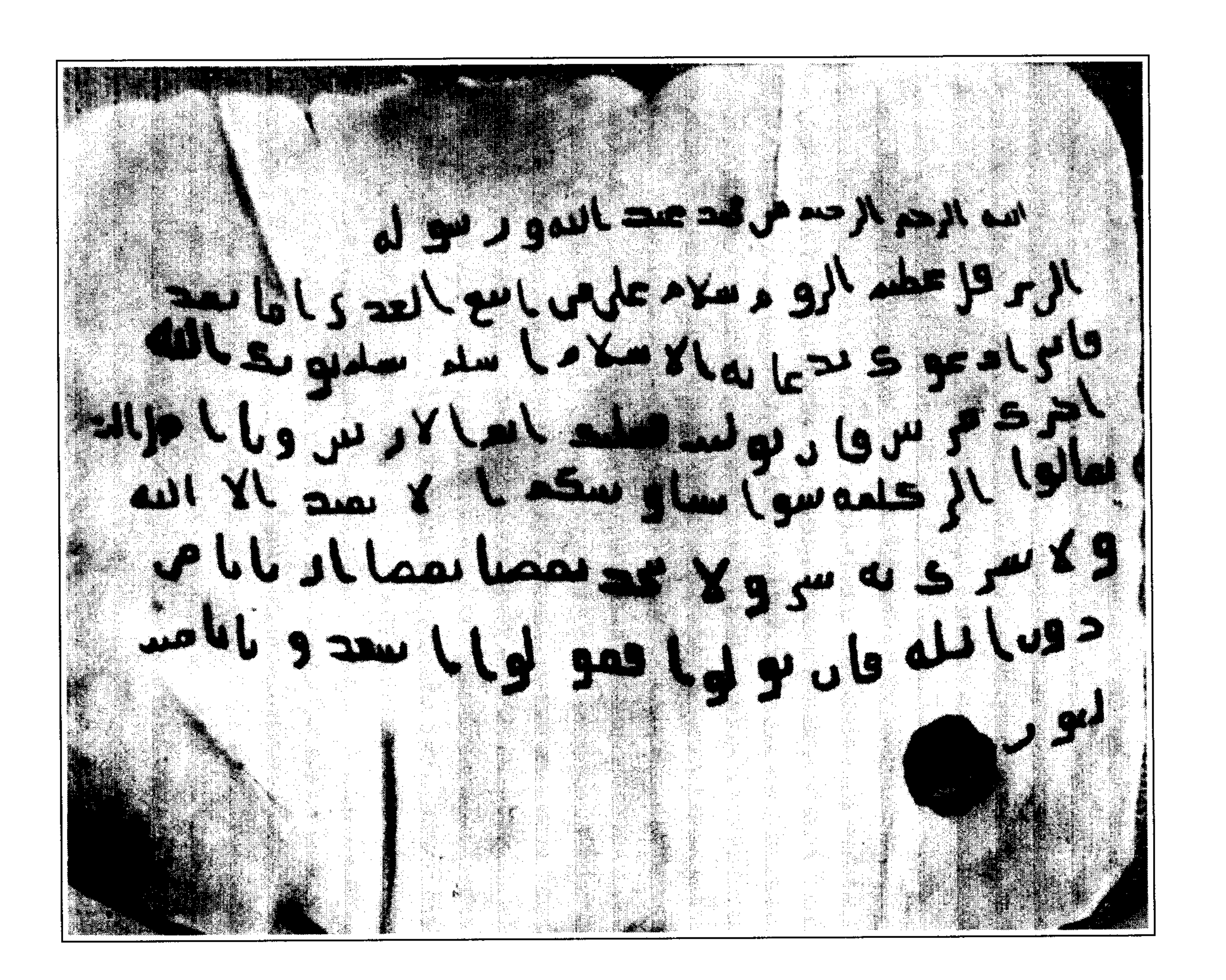


رسالة النبي ﷺ إلى قيصر ملك الروم

أرسلها سنة ست للهجرة، بعد رجوعه من الحديبية، وكان وصولها إليه في المحرم سنة سبع(١).

---

(١) واسمه هرقل، ولقبه قيصر، ومعناه البقير، والبقير من النوق: التي شق بطنها عن ولدها، فإن أمه ماتت في المخاض، فشق عنه وأخرج، فسمي قيصر، ثم صار هذا الاسم لقباً لكل من ملك الروم، والجمع قياصرة، وسميت عملية شق البطن عن الولد بالقيصرية. وهرقل هذا إمبراطور بيزنطة ٦١٠ ـ ٦٤١، عرف عهده حروباً كثيرة، تقدم الفرس في أيامه واحتلوا أنطاكية والقدس ومصر، ثم نظم الجيوش وردهم إلى ما وراء الفرات، واحتل تبريز واسترد الصليب، وعندها بدأ الفتح الإسلامي. صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٠٣، المنجد.



الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد
فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوتك الله
اجرك مرتين فان توليت فعليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مس
لمون

○ نص الرسالة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين[1]، فإن توليت، فعليك إثم الأريسيين[2]، و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[3].

(محمد رسول الله)

---

(١) أي لإيمانه بعيسى عليه السلام وبمحمد ﷺ، أو لأن إسلامه يكون سبباً في دخول أتباعه فيه.

(٢) جمع أريس. واختلفوا في المراد بهم على أقوال: أشهرها أنهم الأكارون، أي الفلاحون والزرَّاعون. وقد جاء مصرحاً به في رواية في دلائل النبوة للبيهقي وفي غيره: «فإن عليك إثم الأكارين». والمراد الرعايا. ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا، لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقياداً، قال أبو عبيد: «ليس المراد بالفلاحين الزراعين خاصة، بل المراد جميع أهل مملكته». ومعناه: فإن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك، وينقادون بانقيادك، واستدل ابن حجر في الفتح ١/ ٣٩ برواية مرسلة: «فإن عليك إثم الفلاحين».

وقال الخطابي: أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع، إذا لم يسلموا تقليداً له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر.

ورجح النووي أنهم أتباع آريوس المصري، الذي نادى بالتوحيد والتمييز بين الخالق والمخلوق، ودانت بأفكاره طائفة من المسيحيين عرفت بالآريوسية، وكانت الدولة الرومانية الشرقية تعاني من التمزق المذهبي بين اليعقوبيين والملكانيين والنسطوريين كما ذكر الواقدي في المغازي ٣/ ١١٢٤، وانظر شرح مسلم للنووي ١٢/ ١٠٩، ١١٠، الحدائق ٢/ ٦٣٦، الأثر ص٦٤، الدراسات ص٧.

(٣) ورد نص هذه الرسالة في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: «من محمد رسول الله» بدلاً من «عبد الله ورسوله». وفيه: «وأسلم يؤتك الله» بزيادة (وأسلم). وفيه: «فإن توليت فإنما عليك» بزيادة (فإنما). ويظهر أن هذا من تصرف الرواة، وروايتهم لبعض الكلمات بمعناها. وقد ورد نص هذه الرسالة أيضاً في سنن الترمذي وزاد المعاد ٢/ ٦٨٨، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ص٧٠، سفراء النبي وكتَّابه ورسائله ص١٨ و٢٨، الروض الأنف ٢/ ٣٥٥، سيرة ابن كثير ٣/ ٤٩٣ و٥٠٦، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ٧٤، الوثائق السياسية.

○ السفير:

دِحية بن خليفة الكلبي الخزرجي، أسلم في بدء الإسلام، شهد مع النبي ﷺ غزواته كلها عدا بدراً، كان يضرب به المثل في حسن الصورة والمظهر، له معرفة ببلاد الشام، عاصر أربعة الخلفاء الراشدين ﷺ، وشهد معركة اليرموك، فكان على كردوس، ثم انتقل إلى الشام في خلافة معاوية رضي الله عنه وتوفي فيها سنة ٤٥هـ ـ ٦٦٥م[١].

○ الانطلاق بالرسالة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه مع دحية الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بُصرى ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر. وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكراً لله عز وجل، فيما أبلاه من ذلك. . . الحديث [أخرجه مسلم].

وكان قيصر إذ ذاك في أوج عظمته، فقد جاء من حمص إلى بيت المقدس شكراً لما منَّ الله عليه من إلحاقه الهزيمة الساحقة بالفرس، وكانت الفرس بعد أن منيت بالهزيمة، قتلوا كسرى أبرويز، وصالحوا الروم على تسليم جميع ما كانوا احتلوه من بلاد قيصر، ورد الصليب الذي تزعم النصارى أن المسيح كان صلب عليه، فجاء قيصر إلى القدس سنة ٦٢٩م ـ ٧هـ، ليضع الصليب في موضعه.

وبُصرى قصبة كُورة[٢] حوران، مشهورة عند العرب قديماً، كانت مركزاً هاماً للقوافل، وهي من مستعمرات الروم، وعظيمها في ذلك الوقت هو الحارث ملك غسان، وقد استقبل دحية رضي الله عنه وأرسل معه عدي بن

---

(١) أسد الغابة ٢/١٥٨، الأعلام ٢/٣٣٧، ودحية بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان، اختلف في الراجح منهما، وادعى ابن السكيت أنه بالكسر لا غير، وادعى أبو حاتم أنه بالفتح لا غير. [شرح مسلم للنووي ١٢/١٠٣].

(٢) الكُورَة: البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى.

حاتم ليوصله إلى قيصر[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر، وله الجنة. فقال رجل من القوم: وإن لم يقبل؟ قال: وإن لم يقبل. فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس، وقد جُعل له بساط، لا يمشي عليه غيره، فرمى بالكتاب على البساط وتنحى، فلما أتى قيصر إلى الكتاب أخذه فنادى: من صاحب الكتاب؟ فهو آمن، فجاء الرجل فقال: أنا. قال: فإذا قدمتُ فائتني، فلما قدم أتاه.. الحديث [أخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه][2].

○ الحوار بينِ السفير وهرقل:

استقبل قيصر دحية رضي الله عنه استقبالاً طيباً، واستمع لما قاله من خلال مترجم في البلاط الروماني الشرقي، ودار بينهما الحوار الصريح التالي:

قال دحية: فقلت له: يا قيصر، أرسلني إليك من هو خير منك، والذي أرسله خير منه فاسمع بِذُل، ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تذلل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تنصف.

قال قيصر: هات.

قلت: هل تعلم أن المسيح كان يصلي؟

قال: نعم.

قلت: فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض، والمسيح في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبي الذي بشر به موسى، وبشر به عيسى بن مريم من بعده، وعندك من ذلك أثارة من علم، تكفي عن العيان، وتشفي من الخبر، فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة، وإلا ذهبت عنك الآخرة، وشوركت في الدنيا، واعلم أن لك رباً يقصم الجبابرة، ويغيِّر النعم.

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٢/ ١٠٤، المنجد.

(٢) قال عبد القادر وشعيب الأرناؤوط في تعليقهما على الزاد ١/ ١٢١: وسنده صحيح.

فأخذ قيصر الكتاب، فوضعه على عينه ورأسه وقبله ثم قال: أما والله، ما تركت كتاباً إلا قرأته، ولا عالماً إلا سألته، فما رأيت إلا خيراً، فأمهلني حتى أنظر من كان المسيح يصلي له، فإني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غداً ما هو أحسن منه، فأرجع عنه، فيضرني ذلك ولا ينفعني، أقم حتى أنظر(١).

○ أبو سفيان وهرقل:

ثم إن هرقل دعا صاحب شرطته وقال له: اقلب لي الشام ظهراً وبطناً حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل، فأحضروا له جماعة من غزة، وكان فيهم أبو سفيان(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني أبو سفيان بن حرب من فيه إلى فيَّ، قال: انطلقت في المدة(٣) التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ قال: فبينما أنا بالشام، إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل. قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل. فقال هرقل: هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي.

وفي رواية ثانية للبخاري أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام ـ فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم. . .

وعند مسلم: فأتانا رسول قيصر، فانطلق بنا حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس في مجلس ملكه عليه التاج، وحوله عظماء الروم.

---

(١) الروض الأنف للسهيلي ٧/٥١٦، ٥١٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢/٣٦.

(٣) يعني مدة صلح الحديبية.

ثم دعا بترجمانه وقال: قل لهؤلاء: إني سائل عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبني فكذبوه، قال أبو سفيان: وايم الله، لولا أن يؤثر عليّ الكذب لكذبته.

وفي رواية ثانية: ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً[1]. فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثِروا علي كذباً لكذبت عنه، أو قال: عليه.

ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب ـ وفي رواية ثانية: هو فينا ذو نسب ـ قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يتّبعه أشراف الناس أو ضعفاؤهم؟ قال: قلت: لا، بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: لا، بل يزيدون. قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخْطَة له؟ قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: يكون الحرب بيننا وبينه سجالاً، يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدِر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة، لا ندري ما هو صانع فيها، قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه. قال: فَهَل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا.

ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان من آبائه ملك، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت:

---

(١) فإنه من بني عبد مناف، وعبد مناف الأب الرابع للنبي ﷺ ولأبي سفيان.

رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه، أضعفاؤهم أم أشرافهم، فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدعَ الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخْطَة له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل قاتلتموه، فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً، ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل، تُبتلى ثم تكون العاقبة لها، وسألتك هل يغدر، فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله. قال: ثم قال: بم يأمركم؟ قلنا: بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف ـ وفي رواية ثانية قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ـ قال: إن يك ما تقوله حقاً، فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكَ أظنه منكم[1]، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدميّ.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فلما فرغ من قراءة الكتاب، ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط[2]. وفي رواية ثانية: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأمر بنا فأخرجنا. قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أَمِرَ أمر ابن

(١) وذلك بسبب تحريف أهل الكتاب للنصوص من حيث اللفظ والمعنى.

(٢) لأنه قرأه على مسامعهم دون أن يستنكره.

أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر[1]. فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام. [أخرجه الشيخان وغيرهما].

وفي رواية أخرى للبخاري: ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية - وكان نظيره في العلم - وسار هرقل إلى حمص، فلم يَرِم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه، يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي. فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة[2] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت لكم ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حَيْصة حُمُر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نَفْرتهم، وأيس من الإيمان قال: ردوهم عليَّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً، أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له ورضوا عنه.

وفي حديث أنس رضي الله عنه: .. فأمر قيصر بأبواب قصره فغلقت، ثم أمر منادياً ينادي، ألا إن قيصر قد اتبع محمداً، وترك النصرانية، فأقبل عليه جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا به، فقال لرسول رسول الله ﷺ: قد ترى أني خائف

---

(١) أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة: أي كبر شأنه وعظم. وكان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة الخزاعي، لأنه كان قد خالف قريشاً في عبادة الأوثان، وعبد بعض نجوم السماء - وقيل: كان يعبد الشعرى، ولم يوافقه أحد من العرب في عبادتها - فلما خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأصنام شبهوه به [وانظر جامع الأصول ١١/ ٢٧٣، شرح مسلم للنووي ١٢/ ١١٠].
وبنو الأصفر هم الروم، سموا بذلك لما يعرض لألوانهم في الغالب من صفرة [جامع الأصول ١١/ ٢٧٣] وقال ابن الأنباري: سموا بذلك لأن جيشاً من الحبشة غلب على بلادهم في وقت، فوطئ نساءهم، فولدن أولاداً صفراً، من سواد الحبشة وبياض الروم، وقال أبو إسحاق بن إبراهيم الحربي: نسبوا إلى الأصفر بن الروم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. قال القاضي: وهذا أشبه من قول ابن الأنباري [شرح مسلم للنووي ١٢/ ١١١].

(٢) الدسكرة: القصر، والجمع دساكر.

على مملكتي، ثم أمر مناديه فنادى: ألا إن قيصر قد رضي عنكم، وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم فارجعوا، فانصرفوا، وكتب إلى رسول الله ﷺ أني مسلم، وبعث إليه بدنانير [أخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه].

وقد تبين مما سبق قوة إدراك هرقل وثقوب فهمه، بما استدل به على صدق محمد ﷺ من البراهين المقنعة، فاعترف بصحة نبوته، وهمَّ بالإسلام، لكن لم توافقه الروم، وخافهم على ملكه فأمسك، وأرسل إلى النبي ﷺ بهدية، وأجاز دحية بمالٍ وكسوةٍ، فقبل النبي ﷺ هديته، وقسمها على المسلمين[1].

○ دراسة الرسالة:

تتكون الرسالة من ثمانية أسطر، وإحدى وستين كلمة، كتبت على رق مصقول بمداد أسود، وختمت على مسافة تقع في الثمن الأول من اليمين تقريباً. وقد طمست بعض أجزاء الختم، لكن يمكن تمييز الكلمات الثلاث.

○ مآل الرسالة:

أشار السهيلي ـ وهو من علماء القرن السادس الهجري ـ في كتابه الروض الأنف[2] إلى انتقال هذه الرسالة إلى بعض ملوك إسبانية، وتابع هذه الإشارة فيما بعد عالم مغربي معاصر هو الشيخ عبد الحي الكتاني[3].

ـ قيل: كانت محفوظة في كنيسة إشبيلية بإسبانية.

ـ كتب عنها المستشرق الألماني هوللر منذ أكثر من مائة عام، وذكر

---

(١) الحدائق ١/٥٨ و٢/٦٣٩، إعلام السائلين ص٨٩.

(٢) ٣/١٩٧.

(٣) في التراتيب الإدارية ١/١٤٦. عن مقال بعنوان: الدراسات المتعلقة برسائل النبي إلى ملوك عصره، للدكتور عز الدين إبراهيم ص١٤.

أن القائد ابن سعيد الغرناطي رآها في أواسط القرن السادس الهجري عند ألفونسو ملك إسبانية في طليطلة من بلاد الأندلس.

ـ قَدَّمها جون ملك إنكلترة إلى الخليفة الموحدي الناصري في أوائل القرن السابع الهجري، وبقيت في البلاط المغربي فترة من الوقت، حيث شاهدها السفير المصري الذي جاء إلى المغرب من أجل أن تتوسط المغرب بين مصر وملوك الفرنجة، وبخاصة ألفونسو العاشر.

ـ كاتب السلطان المولى إسماعيل جد الدولة العلوية الحاكمة مراراً الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسة من أجل استرجاع هذه الرسالة في أواسط القرن الحادي عشر الهجري على أثر الأنباء التي وصلت عن طريق البرتغال عن وجود الرسالة في أوروبة[١].

ـ استقرت الرسالة لمدة غير قصيرة في حيازة الملك عبد الله بن الحسين بن علي مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية، ضمن وثائقه الخاصة[٢].

وليس من المستبعد أن تكتشف هذه الرسالة في الأردن إذا علمنا أن صلات أوروبة بالعالم الإسلامي ظلت قائمة عبر القرون عن طريق المراسلات أو السفارات أو الحجاج النصارى الذين يقصدون القدس![٣].

ـ وآلت بعد وفاته إلى أرملته ناهدة أمان حجازي، وحين تقدمت بها السن رغبت في أن تحفظ الوثيقة لدى أحد حكام المسلمين، فعلمت بذلك حكومة الكويت وحكومة الإمارات العربية المتحدة، فأجريت على الوثيقة ثلاث دراسات:

---

(١) عن جاسم كانو ص٨٤، ٨٥، وعز الدين ص١٦.

(٢) الأثر ص٦٤، الدراسات المتعلقة برسائل... ص١٦.

(٣) جاسم كانو ص٨٤، ٨٥.

الأولى في لندن مقر إقامة الأميرة، أعدها الأستاذ ياسين حامد صفدي رئيس قسم المخطوطات العربية بالمتحف البريطاني، وقد درس نص الرسالة وصفات الجلد والخط وانتهى إلى تأكيد أصالتها.

والثانية في الكويت أعدتها لجنة من الأساتذة هم الدكتور حسين مؤنس والدكتور شاكر مصطفى والدكتور محمود علي مكي. درست هذه اللجنة السند الذي وصلت به الرسالة عبر التاريخ، وصفات الخط، وانتهت إلى الشك في الوثيقة وعدم استبعاد كونها مزورة.

والثالثة في أبو ظبي قام بها د .عز الدين إبراهيم، وقد راجع في دراسته موضوعي المتن والسند اللذين درسا من قبل، وأضاف بعداً جديداً في الدراسة، وهو الفحص المختبري الموسع، متعاوناً مع خبراء المتحف البريطاني في لندن، وخبير الجلد الدكتور ريد من جامعة ليدز في إنجلترة، واشتمل الفحص على دراسة لخصائص الرق بالمكبرات، وتحت الأشعة فوق البنفسجية، وخصائص الحبر، وفحص الانكماش الجلدي، لتقدير عمر الوثيقة، وهي طريقة تختلف عن الفحص الكربوني المعروف. وانتهى من الدراسة، بأن الوثيقة قديمة جداً، يزيد عمرها عن ألف سنة، وقد تكون الأصلية، وربما تكون نسخة قديمة عن الأصل[١].

ـ ثم آلت الرسالة إلى الملك حسين بن طلال ملك الأردن، وأعلن عن حيازته لها عام ١٩٧٧م وتحدث عن كيفية وصولها إليه، وذكر أنه تم وضع هذه الرسالة في ٢٥/٦/١٩٧٣م بين أيدي العلماء والخبراء الإخصائيين في المتحف البريطاني وجامعة ليدز، وهما أعظم مركزين للتدقيق في المخطوطات والآثار التاريخية الثمينة، وظلت فترة في

---

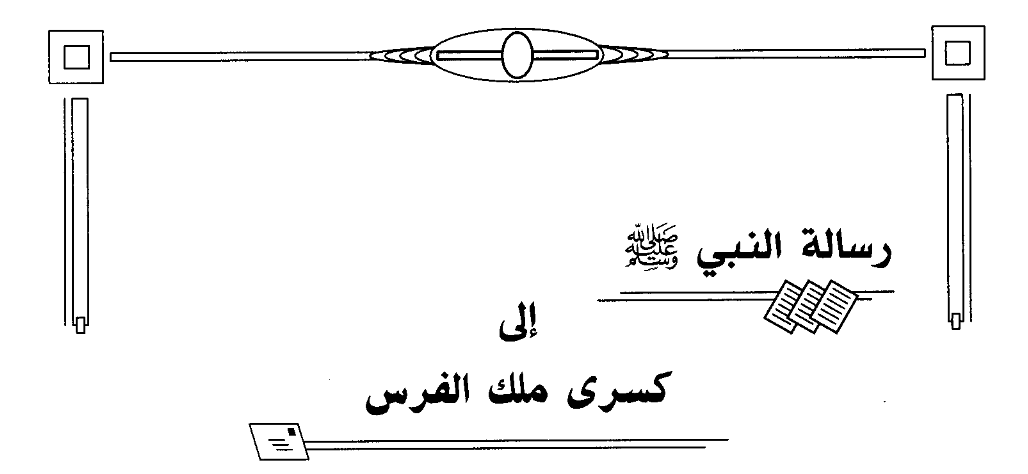
(١) ونشر هذه الدراسة في جريدة الاتحاد بأبو ظبي في شهر أيار عام ١٩٧٤م، ثم في جريدة العلم المغربية في ١٧ كانون الثاني عام ١٩٧٥م. وانظر الدراسات المتعلقة برسائل النبي إلى ملوك عصره للدكتور عز الدين إبراهيم ص١٦، ١٧.

المركزين للتحقق من صحتها وصحة محتوياتها وتاريخها، فأجروا عليها فحوصات في منتهى الدقة، تناولت نوع الحبر الذي كتبت به، والرق الذي كتبت عليه، وتأثير درجة الحرارة عليه، ومحتوياته من الكالسيوم، وعمر الوثيقة، وكانت النتيجة إثبات صحة الوثيقة، وأنها الوثيقة الأصلية نفسها، وأن مادة الوثيقة من جلد الغزال، وأن حبر الخاتم الذي وثقت به هو نفس الحبر الذي كتبت به، وأنها كتبت على الجانب الداخلي من الجلد، وأن المداد يدخل في تركيبه عدة مواد، وأن الجلد امتص هذه المواد بعمق، مما ساعد على حفظ الخط بحالة جيدة رغم تقادم السنين، وأن نوع الحبر الذي كتبت به، والجلد الذي كتبت عليه، وأسلوب الكتابة تعود إلى ما كان متداولاً في الكتابات في القرن السابع الميلادي، وذلك لدى مقارنتها بالوثائق التاريخية الأخرى التي حفظها التاريخ العربي من تلك الفترة نفسها.

وقد وضعها الملك حسين في مسجد الهاشمية المطل على الوادي الأخضر وعلى القدس الشريف(١).



(١) الأثر ص٦٤، كانوا ص ٨٥ ـ ٨٨.

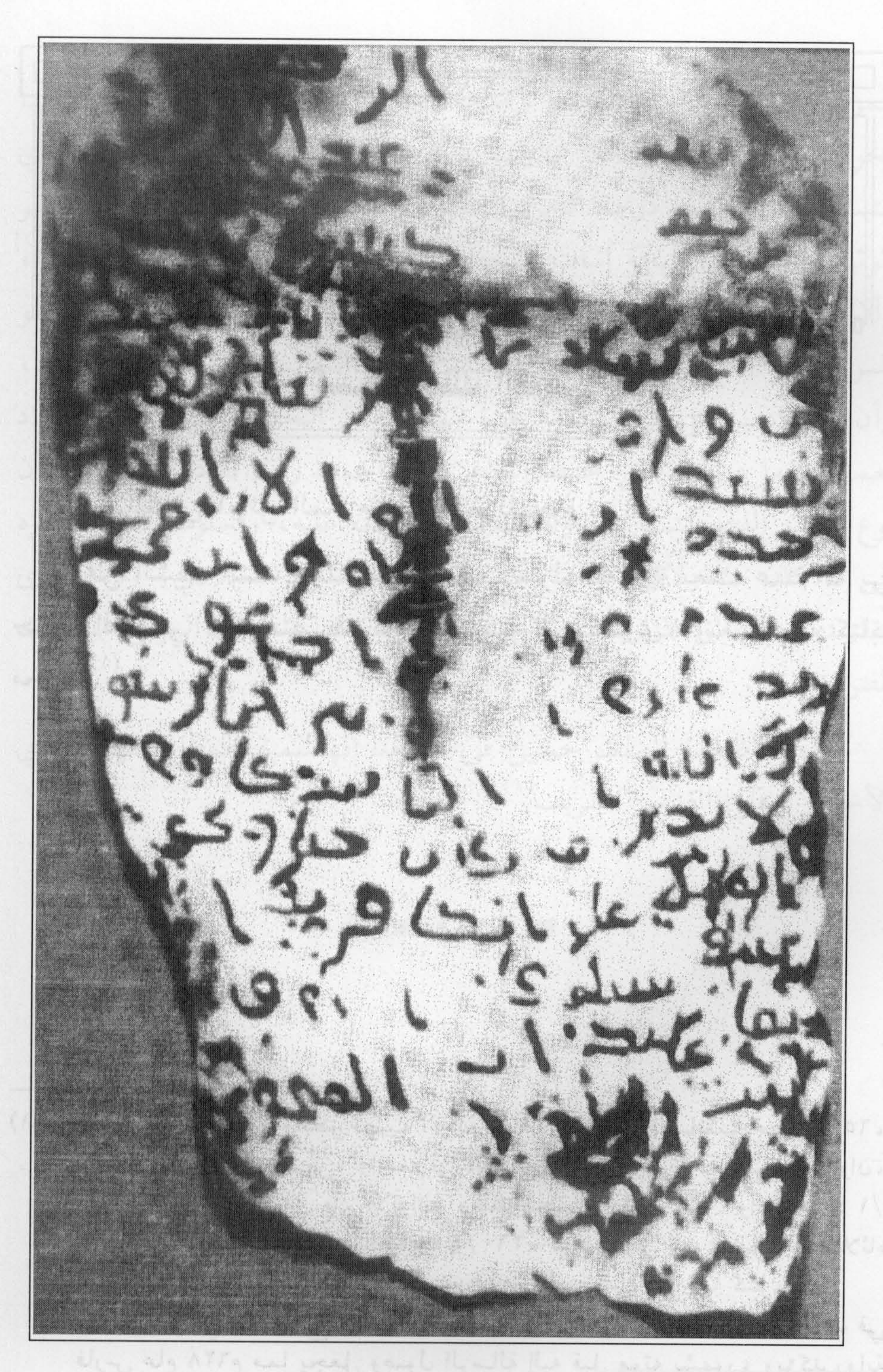


رسالة النبي ﷺ إلى كسرى ملك الفرس

أرسلها في أوائل المحرم سنة سبع للهجرة.

عن الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه منصرفه من الحديبية إلى كسرى، وبعث معه كتاباً مختوماً(١).

(١) ذكر ذلك الواقدي. وانظر نصب الراية ٤/ ٤٢١، إعلام السائلين ص٦٤، ٦٥، وكسرى لقب ملوك الفرس، واسمه في ذلك الوقت أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وهو كسرى الكبير الذي بنى الإيوان، وملك ثمانياً وأربعين سنة. وانظر الزاد ١/ ١٢١، وقد أرخ ابن سعد في الطبقات ١/ ٢٦٠، للرسالة إلى كسرى قبل ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع، وهي السنة التي قتل فيها كسرى.
ويؤكد بتلر في كتابه فتح مصر ص١٣٨ ـ ١٥٣ أن موت كسرى أبرويز حدث في فارس عام ٦٢٨م مما يجعل وصول الرسالة إليه قبل موته بشهور، ويؤكد رواية الواقدي.



صورة الرسالة وقد ظهر فيها التمزق الطولي.

○ نص الرسالة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين. فأسلم تسلم، فإن أبيت، فإن عليك إثم المجوس[(1)].

○ الانطلاق بالرسالة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه.

قال الزهري: فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم النبي ﷺ أن يمزقوا كل ممزق. [أخرجه البخاري].

وإنما سهل عظيم البحرين وصول عبد الله إلى كسرى، فسلمه إياها، بدليل الحوار الآتي.

○ السفير:

عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي، يكنى أبا حذافة، أسلم

---

(١) ورد نص هذه الرسالة في نصب الراية ٤/ ٤٢٠، إعلام السائلين ص٦٦، زاد المعاد ٣/ ٦٨٨، عيون الأثر ٢/ ٢٦٢، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ١٥٣، ١٥٤، صبح الأعشى ٦/ ٣٧٨، محمد رسول الله ص١١٢، في صحبة النبي ص١٣٢، سفراء النبي وكتابه ص٣٠١، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله ص١١٠، وقد وردت في صحيح البخاري.
وثمة اختلاف في بعض كلماتها، ففي بعض الروايات «من محمد رسول الله» بدلاً من «عبد الله ورسوله»، وفي بعضها «عظيم الفرس» بدلاً من «عظيم فارس»، وفي بعضها (أسلم) بدلاً من (فأسلم)، وفي بعضها «فإنما عليك» بدلاً من «فإن عليك».
والمجوسية ـ بالفتح ـ نحلة، والمجوسي منسوب إليها، والجمع مجوس، كيهودي ويهود. وقيل: مجوس ـ كصبور ـ: رجل صغير الأذنين، وضع ديناً، ودعا إليه. والمراد رعاياه، وانظر: القاموس.

مع بدء الدعوة، هاجر إلى الحبشة مع الفوج الثاني، وكان معه أخوه خنيس زوج حفصة بنت عمر رضي الله عنه شهد غزوة بدر، وفي خلافة عمر رضي الله عنه أسره الروم، فأغري وعذب ليدخل في النصرانية فأبى، وهو محارب وشاعر ذو دعابة مستحبة، اختاره النبي ﷺ لحمل هذه الرسالة لأنه كان يتردد في أسفاره على بلاد فارس، شهد فتح مصر، وعاش بها إلى أن توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٣هـ ـ ٦٥٣م(١).

○ الحوار بين السفير وكسرى:

وصل عبد الله إلى إيوان كسرى، وطلب الإذن بالدخول عليه لتسليم الرسالة، وأبى أن يسلمها إلا إليه، فلما دخل ورأى كبرياءه وكبرياء أصحابه قال: يا معشر الفرس، إنكم عشتم بأحلامكم لمدة أيامكم بغير نبي ولا كتاب.

ثم خاطب الملك فقال: ولا تملك من الأرض إلا ما في يدك، وما لا تملك منها أكثر، وقد ملك الأرض من قبلك ملوك أهل دنيا وأهل آخرة، فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا، وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة، فاختلفوا في سعي الدنيا، واستووا في عدل الآخرة، وقد صغّر هذا الأمر عندك أنا أتيناك به، وقد واللهِ جاءك من حيث خفت، وما تصغيرك إياه بالذي يدفعه عنك، ولا تكذيبك به بالذي يخرجك منه، وفي وقعة ذي قار على ذلك دليل.

ثم دفع إليه الرسالة، فلما قرئت عليه مزقها وألقاها على الأرض وقال: لي ملك هَنِيّ، ولا أخشى أن أُغلب عليه، ولا أُشارك فيه، وقد ملك فرعون بني إسرائيل، ولستم بخير منهم، فما يمنعني أن أَمْلِكَكم وأنا خير منه؟ فأما هذا الملك، فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب، وأنتم أولئك تشبع بطونكم وتأبى عيونكم، فأما وقعة ذي قار، فهي بوقعة الشام.

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير ٢/١٤٢، ١٤٣.

وكان عبد الله قد التقط الرسالة بعد أن رماها كسرى، وضمها إلى صدره، ثم أخذها معه وانصرف عائداً إلى المدينة، فلما أخبر النبي ﷺ بذلك دعا عليهم أن يمزقوا كل ممزق.

وذكر الواقدي من حديث الشفاء بنت عبد الله أن عبد الله رضي الله عنه قال: ... فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فأخذه ومزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: مزق الله ملكه[1].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري أن النبي ﷺ قال: مُزق ومزقت أمته.

○ هلاك كسرىٰ:

ثم إن كسرى كتب إلى باذان عامله على اليمن: ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين، فليأتياني به، فاختار باذان رجلين ممن عنده أحدهما قهرمانه (بانويه) وكان كاتباً حاسباً، وآخر يقال له: (خرخرة)، وبعثهما بكتاب إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، وقال لبانويه: اختبر الرجل وعرفني بأمره، فلما قدما المدينة، وقابلا النبي ﷺ قال أحدهما: إنه (شاهنشاه) ـ أي ملك الملوك ـ كسرى قد كتب إلى الملك باذان نائبه على اليمن، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثنا إليك لتنطلق معنا، فإن فعلت كتب إلى (شاهنشاه) يمنعك ويكفه عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت فإنه مهلكك وقومك ومخرب بلادك.

لم يأبه النبي ﷺ لهذا التهديد، وإنما نظر إليهما فوجدهما قد حلقا لحيتيهما وأعفيا شاربيهما فقال: من أمركما بهذا؟ فقالا: ربنا ـ يقصدان كسرى ـ فقال: لكن ربي أمرني بإعفاء اللحية وقص الشارب. ثم أمرهما أن يأتياه غداً.

وفي ذلك الوقت كانت الحروب قائمة على قدم وساق بين الفرس

---

(١) الأثر ص٨٣، إعلام السائلين ص٦٦، الروض الأنف ٦/ ٥٨٩، ٥٩٠، الزاد ١/ ١٢١، الحدائق ٢/ ٦٢٩، نصب الراية ٤/ ٤٢١.

والروم، فهزم قيصر كسرى، ولاقت جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر، فتمرد الجيش على كسرى، وقامت ثورة كبيرة ضده في تلك الليلة من داخل بيته، فقد قتله ابنه شيرويه، واستولى على الملك. وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى، سنة سبع للهجرة، ونزل الوحي على رسول الله ﷺ بذلك، فلما أتياه أخبرهما الخبر، وقال لهما: أبلغا صاحبكما أن ربي قتل كسرى في هذه الليلة، وأن الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، فقالا: هل تدري ما تقول؟! إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، أفنكتب هذا عنك، ونخبر به الملك؟ قال: نعم، أخبرا باذان بذلك وبما هو أكثر من ذلك، أخبراه أن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرىٰ، وينتهي إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك، وملكتك على قومك من الأبناء[1].

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان بصنعاء، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا كلام ملك، وإني لأراه نبياً، ولننظر، فإن كان ما قال حقاً، فإنه لنبي مرسل، ولن يسبقني أحد من الملوك إلى الإيمان به، وإن لم يكن، فسنرى فيه رأينا، وقال بانويه لباذان: ما كلمت رجلاً قط أهيب عندي منه. فقال باذان: هل معه شرط؟ قال: لا. وذلك ليتأكد أنه نبي وليس ملكاً. وبعد قليل وصله كتاب شيرويه بن كسرى يقول فيه: أما بعد، فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس، لما كان قد استحل دم من قتل من أشرافهم ونحرهم في ثغورهم، فإن جاءك كتابي هذا، فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق إلى هذا الرجل الذي كتب فيه أبي إليك، فلا تُهجه حتى يأتيك أمري فيه. فلما تسلم باذان رسالة شيرويه

(١) الأبناء: هم الذين أرسلهم كسرى أنوشروان مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لما جاء يستنجده على الحبشة؛ فنصروه وملكوا اليمن، وتزوجوا من العرب، فقيل لأولادهم: الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم.
النويري ١٨/ ١٦٣، أسد الغابة ١/ ١٩٥.

قال: إن هذا الرجل رسول. فأسلم وأسلم معه الأبناء من فارس ومن كان منهم باليمن، وبعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وإسلام من معه. فرضي رسول الله ﷺ عنهم وأقرهم.

وتفرق الفرس بعد ذلك بقليل، فلم تبق لهم رئاسة في جميع أقطار الدنيا، وكانت مملكة فارس أسرع إلى الزوال بكثير من مملكة الروم، فمزقه الله ومزق ملكه كل ممزق بدعوة النبي ﷺ[1].

○ دراسة الرسالة:

كتبت بالمداد الأسود على رق مصقول مستطيل الشكل، بخلاف سائر الرسائل، وموقع الخاتم فيها مرتفع إذا قورنت بالرسائل الأخرى، وهي مكونة من خمسة عشر سطراً، واثنتان وخمسين كلمة مع كلمات الخاتم، والأسطر فيها غير مستقيمة، وبخاصة الجهة اليسرى، فإنها تميل إلى الارتفاع، والأحرف غير متماسكة، والكتابة ليست متناسقة، فبعض الكلمات صغير، وبعضها أكبر حجماً، فيها شق طولي، يخترق النصف، وهو واضح في الصورة، فإنه لما كان الرق لا يتمزق بسهولة، اكتفى بتمزيقها من الوسط وإلقائها إلى الأرض، وقد مُحي ـ أو كاد ـ جزء كبير من الكتابة في الطرف العلوي من الشق، وتدل الحالة التي وصلت إليها الرسالة على أنها لم تحفظ بصورة جيدة، مما أدى إلى تآكل أطرافها ومحو العديد من كلماتها[2].

---

(١) فتح الباري ٨/ ١٢٧، ١٢٨، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ١/ ١٤٧، خاتم النبيين ٣/ ١٣٣، ١٣٤، تاريخ ابن خلدون ٢/ ٢٢٥، ٢٢٦، الوثائق السياسية اليمنية لمحمد بن الأكوع الحولاني ص١٢٤، الكامل لابن الأثير ص٢١٤، تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢/ ٩١، الزاد ١/ ١٢١، الحدائق ١/ ٢٥٥، إعلام السائلين ص١٩، الأثر ص٥٠، ٥١، وص٧٨، طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٠، عن رواية شيخه الواقدي، تاريخ الطبري ٢/ ٦٥٥ ـ ٦٥٧، من طريق ابن إسحاق من رواية شيخه يزيد بن أبي حبيب المصري، مرسلاً.

(٢) كانو.

○ مآل الرسالة:

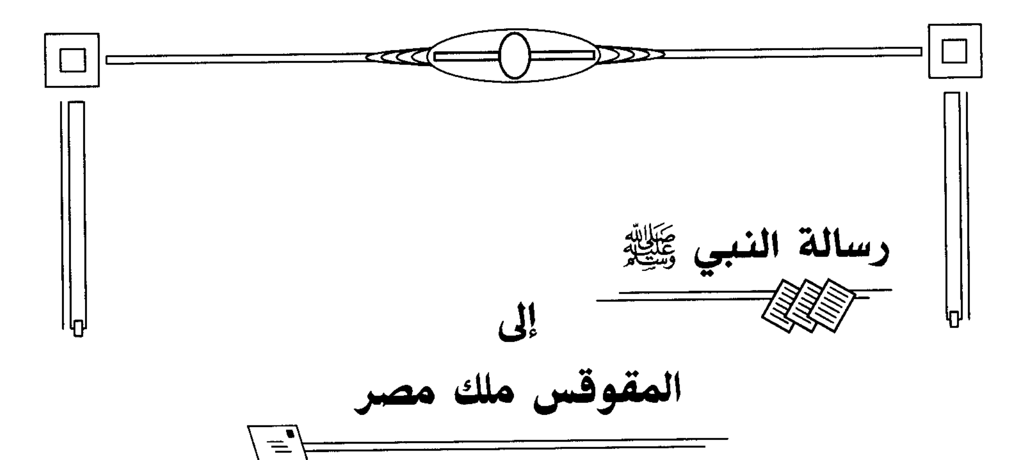
• في شهر آذار (مارس) من عام ١٩٣١م تم العثور على هذه الرسالة في مدينة حلب وقد أعلنت عن ذلك جريدة الأهرام المصرية الصادرة بتاريخ ١٥ نيسان (إبريل) من عام ١٩٣١م.

• وفي شهر نيسان (إبريل) من عام ١٩٦٣م - أي بعد ٣٢ عاماً - نشر الدكتور صلاح المنجد - وهو عالم متخصص في المحفوظات والوثائق، وكان خبير الجامعة العربية، وأستاذ البيولوغرافيا الشهير - مقالاً في جريدة الحياة البيروتية، أعلن فيه الكشف عن هذه الرسالة، وذكر أنه بعد أن أخضعها لدراسة مستفيضة من حيث النص وصفات الخط والرق ترجح لديه صحتها وأصالتها، وأكد أن الأصل الجلدي لها محفوظ لدى السيد هنري بن فيليب فرعون في بيروت، وهو أحد الوزراء السابقين، وكان والده شغوفاً بالتراث الإسلامي، وورث هو عن والده هذه الهواية، ثم آلت الرسالة إليه بعد وفاة والده.

• وقد أعلن الدكتور عز الدين إبراهيم أن السيد فرعون أطلعه على أصل هذه الرسالة وكان محفوظاً بين لوحين زجاجيين، وفيه تمزيق واضح من أعلى الوسط، ، يتجه إلى يمين الرسالة وأسفلها، وقد خيط بمهارة للمحافظة على مظهر الرسالة، وذكر أن السيد فرعون أخبره أنه قد ورث الرسالة مع مخطوطات أخرى عن والده الذي كان اشتراها من أحد الأتراك في فترة من فترات الاضطراب السياسي في تركية، بعد الحرب العالمية الثانية، ويظهر أن الأسرة الحلبية باعتها لبعض الأتراك، ثم اشتراها فيليب منهم، ويغلب على الظن أنها نقلت إلى فرنسة إبان الحرب الأهلية في لبنان للاحتفاظ بها(١).

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية ص٤ و١١٠، الوثيقة رقم ٥٣، الدراسات المتعلقة برسائل النبي إلى ملوك عصره للدكتور عز الدين إبراهيم ص١٦، الكتابة ص٣٧.



رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس ملك مصر

لدى منصرف النبي ﷺ من الحديبية كتب كتاباً إلى المقوقِس ملك مصر والإسكندرية، وقال: أيها الناس، أيكم يأخذ كتابي هذا إلى صاحب مصر، وأجره على الله، فوثب إليه حاطب بن أبي بلتعة، وقال: أنا يا رسول الله. فاختاره النبي ﷺ لحمله[1].

(١) الأثر ص١١٣، السيرة الحلبية ٣/ ٢٩٥، نصب الراية ٤/ ٤٢١، ٤٢٢. والمقوقس لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية، كفرعون، ومعناه المطول البناء، واسمه جريج بن مينا ـ أو متى ـ بن قرقوب القبطي، وكان نصرانياً تابعاً لهرقل ملك الروم. وقيل: اسمه بنيامين. فتحت مصر في عهده، وساعد المسلمين ضد الرومان. وانظر الإصابة ٣/ ٥٣٠ ـ ٥٣٢، دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي ص٣١٧، رحمة العالمين للمنصورفوري ١/ ١٧٨، رسول أكرم كي سياسي زندكي للدكتور حميد الله ص١٤١، الرحيق ص٣٩٥، أسد الغابة ٤/ ٤١٢.



○ نص الرسالة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط[1] سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط. و﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

○ السفير:

حاطب بن أبي بلتعة اللخْمي، وفد من اليمن إلى مكة وعاش فيها، كان ذكياً فطناً شديد الرماية، يعد من فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، كانت له تجارة، عرف بالأسفار من خلالها، شارك في غزوة بدر، وشهد الوقائع مع النبي ﷺ كلها. حمل الرسالة وعمره اثنتان وأربعون سنة تقريباً، توفي سنة ٣٠هـ ـ ٦٥٠م، وكان عمره خمسة وستين عاماً[3].

○ الانطلاق بالرسالة:

قال حاطب: فأخذت الكتاب، وودعت النبي ﷺ وسرت إلى منزلي، وشددت على راحلتي، وودعت أهلي.

سار حاطب بالكتاب إلى مصر، حتى قدم على المقوقس

---

(١) القبط أو الأقباط: اسم لنصارى مصر. والمراد رعاياه الذين ينقادون له، سواء كانوا من القبط أو من غيرهم.

(٢) ورد نص هذه الرسالة في إعلام السائلين ص٨١، ٨٢، عيون الأثر ص١١٤، الزاد ٣/ ٦١، الدكتور حميد الله ص١٣٦، ١٣٧، طبقات ابن سعد ١/ ١٦، ١٧، البداية والنهاية ٤/ ٢٧٢، هداية الحيارى ص٢٨١، وثمة اختلاف في بعض الكلمات، فقد ورد في بعض الروايات «من محمد عبد الله» بدون «ورسوله»، وأيضاً «فإن عليك» بدلاً من «فعليك».

(٣) الأعلام ٢/ ١٩٥، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ١٥٠ ـ ١٥١، الاستيعاب ١/ ٣١٢.

بالإسكندرية، وكان في مجلس مشرف على البحر، فركب حاطب سفينة، ولما حاذى مجلسه، أشار إليه بالكتاب، فلما رآه أمر بإحضاره.

○ الحوار بين السفير والمقوقس:

فلما جيء به إلى المقوقس، أخذ الكتاب وفضه وقرأه، ثم قال لحاطب: إني سأكلمك بكلام، فأحب أن تفهمه مني. قال حاطب: فقلت: تكلم. قال: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبياً؟ فقلت: بلى، هو رسول الله. قال: فماله لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده؟ فقلت: عيسى بن مريم، أليس هو نبياً؟ فماله حيث أخذه قومه، فأرادوا أن يصلبوه، ألّا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله، حتى رفعه إليه؟ فوجم ساعة، ثم استعادها، فأعادها حاطب عليه، فقال: أحسنت، حكيم جاء من عند حكيم.

ثم قال حاطب: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٥] فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك. فقال المقوقس: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه. قال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام، الكافي به الله فَقْدَ ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس إلى دين الله، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمر الله، ما بشارة موسى بعيسى عليه السلام إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ وما دعاؤنا إياك إلى القرآن، إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً، فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به.

ثم إن المقوقس طلب من حاطب أن يجتمع به على انفراد، وليس عنده إلا الترجمان، وسأله: إلامَ يدعو محمد؟ قال: إلى أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئاً، ونخلع ما سواه، ويأمر بالصلاة. قال: فكم تصلون؟

قال: خمس صلوات في اليوم والليلة، وصيامِ رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم. قال: من أتباعه؟ قال: الفتيان من قومه وغيرهم. قال: فهل يقاتله قومه؟ قال: نعم. قال: صفه لي. قال: فوصفته ببعض صِفاته، ولم آت عليها. قال: بقيت أشياء، لم أرك ذكرتها؛ في عينيه حمرة، قال: ما تفارقه، وبين كتفيه خاتم النبوة، يركب الحمار، ويلبس الشملة، ويجتزئ بالتمرات، لا يبالي ما لاقى من عم ولا ابن عم. قلت: هذه صفته. فقال: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة، بإخراج الخبء، والإخبار بالنجوى، وسأنظر. ثم قال: كنت أعلم أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أن مخرجه الشام، وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج في العرب، في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني، ولا أحب أن يعلم أحد بمحاورتي معك، وسيظهر صاحبك على البلاد، وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده.

○ جواب المقوقس:

ثم أخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حِق من عاج[1]، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك. أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم،

---

(١) أي في وعاء مصنوع من عاج الفيل. والحِق: وعاء صغير ذو غطاء، يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما.

وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك.

ولم يزد على هذا، ولم يسلم. ولما ختم الكتاب دفعه إلى حاطب، وأمر له بمائة دينار، وخمسة أثواب، وقال له: ارجع إلى صاحبك. قال حاطب: فرحلت من عنده، ولم أقم عنده إلا خمسة أيام، فلما قدمت على رسول الله ﷺ وذكرت له ما قال لي قال: ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء له. وقبل الهدية. والجاريتان: مارية وسيرين، وقد تزوج النبي ﷺ مارية بعد أن أسلمت، وأنجب منها ابنه إبراهيم، ماتت سنة ١٦هـ[١].

○ دراسة الرسالة:

الرسالة مكونة من اثني عشر سطراً، وسبع وستين كلمة بما فيها الخاتم، كتبت بالمداد الأسود على رق مصقول، مستطيل الشكل، بالخط المدني، وهي جيدة التنسيق والكتابة، فالأسطر مستقيمة، والمسافة بين السطر والسطر متساوية تقريباً، وكذلك بين الكلمة والكلمة، وثمة تشابه بينها وبين رسالة النبي ﷺ إلى هرقل، ولولا سمك الخط، وبعض الاختلافات لتطرق الاحتمال إلى أن كاتبهما واحد.

هناك كلمات عديدة من الرسالة تحلل مدادها تاركاً مكانه سواداً

---

(١) الزاد ٣/ ٦١ و٨٢٢، طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١، فتح الباري ٧/ ٩٧، الأثر ص١١٣ ـ ١١٥ و١١٩ وهو ينقل عن أبي القاسم عبد الرحمن عبد الله بن الحكم في كتابه فتوح مصر وأخبارها ص٤٦ ـ ٤٧، إعلام السائلين ص٨٢ ـ ٨٤، الروض الأنف ص٥١٧ ـ ٥١٨، السيرة الحلبية ٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧، الرحيق المختوم ص٣٩٥ ـ ٣٩٦.

وقد ورد نص هذه الرسالة أيضاً مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ في كتاب عيون الأثر ٢/ ٦٦، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ١١٢، نصب الراية ٤/ ٤٢٢، محمد رسول الله ص١٢٣، مجموعة الوثائق السياسية ص١٠٧، في صحبة النبي ص١٣٤، سفراء النبي وكتابه ورسائله ص٣٨، البداية والنهاية ٤/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ حيث ورد طرف منها، جمهرة رسائل العرب للدكتور أحمد صفوة ١/ ٤٣، فتوح الشام للواقدي ٢/ ٤٣، هداية الحيارى ص٢٨٢ ـ ٢٨٣.

خفيفاً غير متماسك، كما أن فيها بقايا سيحان من حبر أو غيره في النصف الأسفل من الرسالة، وقد ذيلت بالخاتم في الربع الأول من اليمين تقريباً.

○ مآل الرسالة:

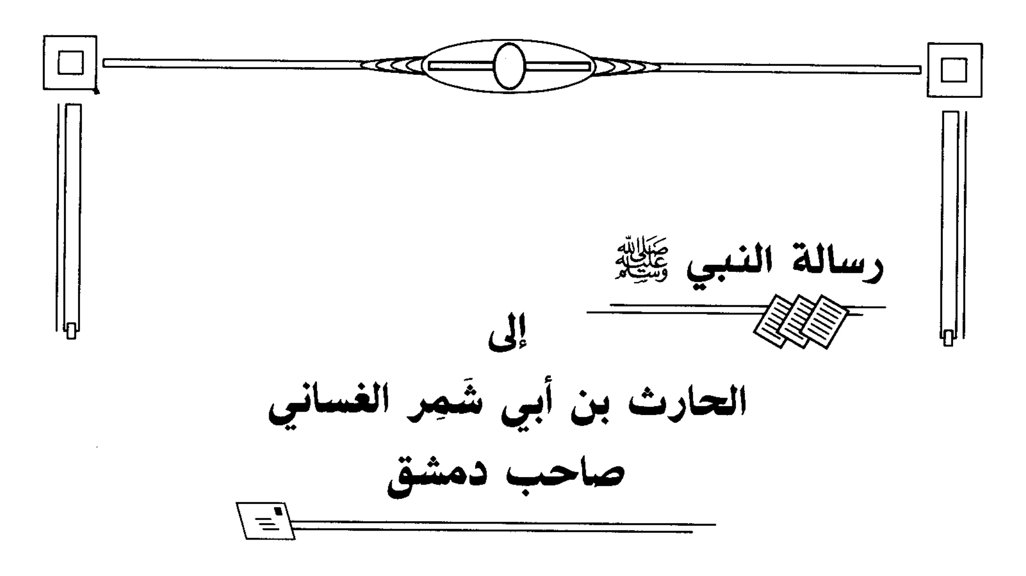
في سنة ١٨٥٠م كان المستشرق الفرنسي بارتليمي في أحد الأديرة بناحية أخميم من صعيد مصر، يفحص بعض الكتب والأناجيل هناك، فعثر على رق جلدي قديم، ملصوق على غلاف إنجيل قبطي قديم، ثم اتضح بالدراسة أنه رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط، وقد أسهم المسيو بِلين في تحقيقها ومقارنة نصها بما ورد في الأصول، ثم أعلن بعد ذلك عن ثقته في أصالة المخطوط. وقد نشرت ذلك المجلة الآسيوية عام ١٨٥٤م، ثم مجلة الهلال المصرية في كانون الثاني (نوفمبر) عام ١٩٠٤م.

اهتم السلطان العثماني عبد الحميد رحمه الله بالأمر، فاقتنى الرق، ووضعه في إطار مذهب، وفي صندوق من الذهب المزخرف، ولا تزال إلى الآن محفوظة بقسم الأمانات المقدسة في الحجرة التي تضم ما نسب إلى النبي ﷺ بمتحف (توب قابي) وهي سراي في مدينة إستانبول في تركية، يطلع عليها الزوار من خلال الزجاج، وتبدو داكنة ورقيقة، مما أدى إلى إخفاء الحروف، غير أنه يمكن لمن أمعن النظر بها عن قرب أن يقرأها. وفي وسطها شقان صغيران.

وقد أثار اكتشافها ردود فعل مختلفة بين المستشرقين، فمنهم من وثقها مثل نولدكه، ومنهم من رفضها مثل كاتياني[1].

---

(١) وأهم الدراسات التي صدرت في هذا الموضوع هي دراسة د. محمد حميد الله سنة ١٩٥٥م في مجلة ARBICA، والدراسات المتعلقة برسائل النبي إلى ملوك عصره لـ د.عز الدين إبراهيم ص١٤، ومجموعة الوثائق السياسية ص١٠ وص١٠١، الوثيقة رقم ٤٩.



رسالة النبي ﷺ
إلى
الحارث بن أبي شَمِر الغساني
صاحب دمشق

روى الواقدي بسنده أن رسول الله ﷺ بعث شجاع بن وهب الأسدي رضي الله عنه إلى الحارث بن أبي شَمِر، وهو بغوطة دمشق، فكتب إليه مرجعه من الحديبية[1].

---

(١) ذكر ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٦١ عن الواقدي بأسانيده عن شجاع بن وهب رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه إلى الحارث بن أبي شَمِر.
ومن خلال رواية شجاع في قصته مع الحارث، يظهر أنه كتب إليه في الوقت نفسه الذي كتب فيه إلى هرقل مع دحية، فإن شجاعاً عندما جاء إلى الحارث، وجد دحية مع القيصر في بيت المقدس.
وكان الحارث ملكاً من جهة قيصر على تخوم الشام، وكانت إقامته بغوطة دمشق، أدرك الإسلام، فأرسل إليه النبي ﷺ كتاباً، مات عام الفتح. وانظر الأعلام ٢/ ١٥٥، إعلام السائلين ص١٠٦ ـ ١٠٧، سيرة ابن هشام ٤/ ٢٧٩.
وروى الطبراني من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني.
وفي نصب الراية ٤/ ٤٢٤ أن كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني مع شجاع بن وهب. هكذا عند الواقدي، وعند ابن هشام أنه جبلة بن الأيهم، عوض الحارث بن أبي شمر، وقيل: توجه لهما معاً.

○ نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك[1].

(محمد رسول الله)

○ السفير:

شجاع بن وهب الأسدي، كنيته أبو وهب، من بني أسد بن خزيمة، وهو من المسلمين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة، وبعدها هاجر إلى المدينة، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ استشهد يوم اليمامة[2].

○ الحوار بين السفير والحارث:

قال شجاع: فأتيته وهو بغوطة دمشق، فلما قدمت عليه انتهيت إلى حاجبه، فأجده يومئذ مشغولاً بتهيئة الأنزال والألطاف لقيصر[3]، وهو جاء من حمص إلى إيلياء، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسول رسول الله إليك، فقال: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا، وجعل حاجبه ـ وكان رومياً، اسمه مُرى ـ يسألني عن رسول الله ﷺ

---

(١) وفي بعض الروايات خالية من البسملة ومن «رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر». وقد وردت هذه الرسالة مع بعض الاختلافات في عيون الأثر ٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١، زاد المعاد ٣/ ٦٣ و١/ ١٢٢، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ٢٦١، نصب الراية ٤/ ٤٢٤، في صحبة النبي ص١٣٥، طبقات ابن سعد ١/ ٢٦١، تهذيب الكمال ١/ ١٩٨، سفراء النبي وكتابه ورسائله لمحمد بن صالح البنداق ص٤٤، دبلوماسية محمد لعون الشريف ص٢٥٨، مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص٩٧، عن الأثر ص١٣١، وإعلام السائلين ص١٠٧ ـ ١٠٨، الرحيق ص٤٠٢ ـ ٤٠٣.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٣٨٦، الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ١٣٨.

(٣) أي مكان النزول ووسائل الراحة.

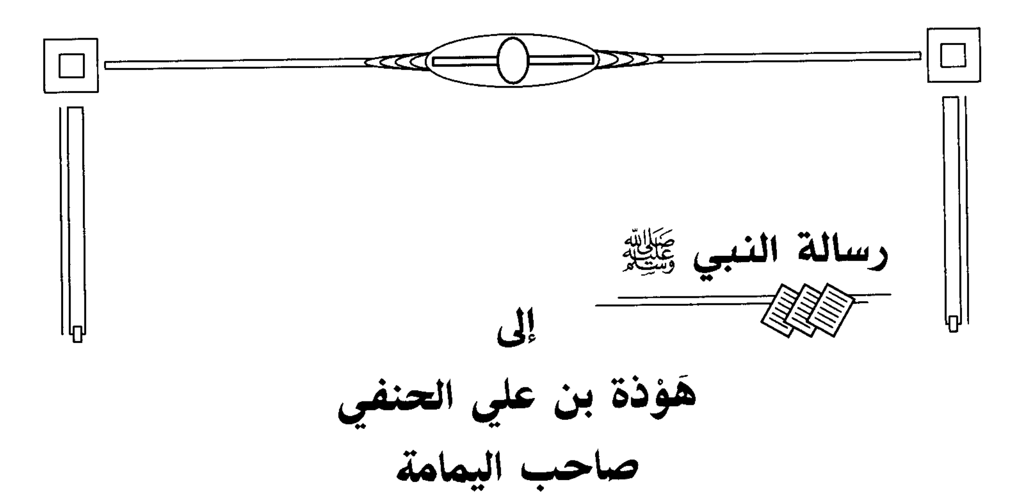
وما يدعو إليه، فكنت أحدثه، فيرق قلبه حتى يغلبه البكاء ويقول: إني قرأت الإنجيل، وأجد صفة هذا النبي بعينه، فكنت أراه يخرج بالشام، فأراه قد خرج بأرض القَرَظ[١]، فإني أومن به وأصدقه، وأنا أخاف من الحارث بن أبي شمر أن يقتلني. قال شجاع: فكان يكرمني ويحسن ضيافتي، ويخبرني عن الحارث باليأس منه، ويقول: هو يخاف قيصر.

قال: فخرج الحارث يوماً، فوضع التاج على رأسه، فأذن لي عليه، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ثم رمى به وقال: من ينزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس، فلم يزل جالساً يستعرض حتى الليل، وأمر بالخيل أن تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره خبري، فصادف قيصر بإيلياء، وعنده دحية الكلبي، وقد بعثه إليه رسول الله ﷺ فلما قرأ كتاب الحارث، كتب إليه أن لا تسر إليه، والْهُ عنه، ووافني بإيلياء، قال: ورجع الكتاب وأنا مقيم فدعاني وقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلت: غداً، فأمر لي بمائة مثقال ذهباً، ووصلني الحاجب الرومي سراً بنفقة وكسوة، وقال: اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام، وأخبره أني متبع دينه. قال شجاع: فقدمت على النبي ﷺ فأخبرته فقال: «باد ملكُه». وأقرأته من مُرى السلام، وأخبرته بما قال، فقال رسول الله ﷺ: «صدق»[٢].

---

(١) القَرَظ: شجر يدبغ به، وكبش قَرَظي أو قُرظي؛ منسوب إلى بلاد القرظ، وهي اليمن، لأنها منابت القرظ. والمراد أرض العرب.

(٢) السيرة الحلبية ٣/ ٣٠٥، طبقات ابن سعد ١/ ١٧ ـ ١٨، عيون الأثر ٢/ ٣٤٣، إعلام السائلين ص١٠٣ ـ ١٠٤، هداية الحيارى ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.



رسالة النبي ﷺ

إلى

هَوْذة بن علي الحنفي

صاحب اليمامة

أرسلها سنة ست أو سبع، فهؤلاء الستة، قيل: هم الذين بعثهم رسول الله ﷺ في يوم واحد(١).

○ نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هَوْذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر(٢)، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك(٣).

---

(١) تعد اليمامة من قرى نجد، وتقع جنوب بادية الشام، وتشتمل على وسط جزيرة العرب، بين الحجاز والأحساء، وهي بلاد كثيرة النخل على نحو ستة عشر مرحلة من مكة. معجم البلدان ٢/ ٤٤١.

وهَوْذة بن علي بن ثمامة بن عمرو من بني حنيفة، من بكر بن وائل، صاحب اليمامة بنجد، شاعر بني حنيفة وخطيبها قبل الإسلام وفي العهد النبوي، له مكانة في قومه، وهو من كران من قرى اليمامة، كان ممن يزور كسرى في المهمات. الأعلام ٨/ ١٠١ ـ ١٠٢.

وقيل: بعثه النبي ﷺ إلى هوذة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي. الزاد ١/ ١٢٢.

(٢) أي إلى أقصى ما تصل إليه الركائب.

(٣) ورد نص هذه الرسالة في إعلام السائلين ص١١٠، وعيون الأثر ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠، الزاد ٣/ ٦٣، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ٢٩٧، نصب الراية ٤/ ٤٢٥، صبح الأعشى ٦/ ٣٧٩، محمد رسول الله ص١١٤، مجموعة الوثائق السياسية ص١٢٣، =

○ السفير:

سَليط بن عمرو بن عبد شمس العامري، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، شهد بدراً وغيرها من المشاهد مع النبي ﷺ، اختاره النبي ﷺ لحمل هذه الرسالة، لأنه كان يتردد على اليمامة، ويعرف الحجاز، استشهد باليمامة في قتال أهل الردة، سنة ١٤هـ[١].

○ الحوار بين هوذة والسفير:

فلما قدم عليه استقبله هوذة استقبالاً حسناً، فقرأ عليه الكتاب، ثم دار بينهما الحوار التالي:

قال سليط: يا هوذة، إنه قد سُوِّدتَ أعظم حائلة، وأرواح في النار، وإنما السيد من مُتع بالإيمان، ثم زُود بالتقوى، وإن قوماً سعدوا برأيك، فلا تشقين به، وإني آمرك بخير مأمور به، وأنهاك عن شر منهي عنه، آمرك بعبادة الله، وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإن في عبادة الله الجنة، وفي عبادة الشيطان النار، فإن قبلت فلك ما رجوت، وأمنت ما خفت، وإن أبيت، فبيننا وبينك كشف الغطاء، وهو المطلع.

فقال هوذة: يا سليط، سودني من لو سودوك شرفت به، وقد كان لي رأي أختبر به الأمور ففقدته، فموضعه من قلبي هواء، فاجعل لي فسحة يرجع إلي رأيي فأجيبك به إن شاء الله[٢].

○ كتاب هوذة إلى النبي ﷺ:

ثم إن هوذة كتب إلى النبي ﷺ ما يلي:

= في صحبة النبي ص١٣٦، سفراء النبي وكتابه ورسائله ص٤٢، الأثر ص٣٢، طبقات ابن سعد ١/١ ـ ٨.

وبين الروايات اختلاف في بعض الكلمات بسبب نقل بعضها بالمعنى، وفي صبح الأعشى لم يذكر البسملة. وفي هداية الحيارى ص٢٨٧ ما تحت يدك.

(١) وقال الطبري: سنة ١٢هـ.

(٢) الروض الأنف ٦/ ٥٩٠ ـ ٥٩١.

ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك.

وأجاز سليطاً بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر - وهي مدينة في البحرين - فقدم بذلك كله على النبي ﷺ فأخبره ودفع إليه كتابه، فقرأه وقال: لو سألني قطعة من الأرض[١] ما فعلت، باد وباد ما في يديه، فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح، جاءه جبريل بأن هوذة قد مات، فقال ﷺ: «أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ، يقتل بها بعدي». فقال قائل: يا رسول الله، من يقتله؟ فقال: «أنت وأصحابك». فكان كذلك[٢].

○ هوذة وأركون دمشق:

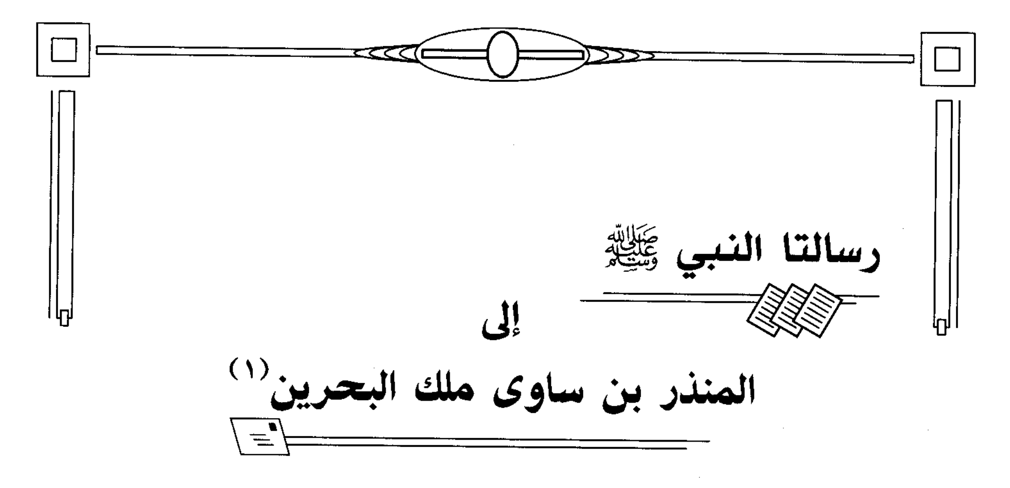
ذكر الواقدي أن أركون دمشق - وهو عظيم من عظماء النصارى - كان عند هوذة، فسأله عن النبي ﷺ فقال: جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام، فلم أجبه، فقال الأركون: لِمَ لا تجيبه؟ قال: ضننت بديني، وأنا ملك قومي، وإن اتبعته لم أملك. قال: بلى، والله لئن تبعته ليملكنك، وإن الخيرة لك في اتباعه، وإنه للنبي العربي الذي بشّر به عيسى ابن مريم، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله[٣].

---

(١) في بعض المصادر: سيابة من الأرض، والسياب مثل السحاب: البلح، واحدته سيابة، والتقدير: لو سألني قدر بلحة من الأرض ما فعلت، وفي عيون الأثر: سبابة، وفي نصب الراية: شيئاً.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٢، الوفا بأحوال المصطفى لأبي الفرج بن الجوزي ٢/ ٧٣٨، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ٢٩٧، زاد المعاد ٣/ ٦٣ و٦٩٦، إعلام السائلين ص١١٠ - ١١١، عيون الأثر ٢/ ٢٧٠، نصب الراية ٤/ ٤٢٥.

(٣) عيون الأثر ٢/ ٢٧٠، الزاد ٣/ ٦٣ و٦٩٦ - ٦٩٧، نصب الراية ٤/ ٤٢٥، طبقات ابن سعد ١/ ١ - ١٨ وهذا مكتوب في بعض الأناجيل التي لم تعترف بها الأقلية التي تسلطت بالقوة على الأكثرية في مجمع نيقية عام ٣٢٥م، مثل إنجيل برنابا.
ويروى أن هذا الأركون أسلم على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.



رسالتا النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين[1]

ذكر الحافظ أبو الفتح بن سيد الناس أن النبي ﷺ بعث كتاباً إلى المنذر بن ساوى العبدي مع العلاء بن الحضرمي، بعد انصرافه من الحديبية[2].

وقيل: قبل منصرفه من الجعرانة[3].

وقيل: قبل فتح مكة[4].

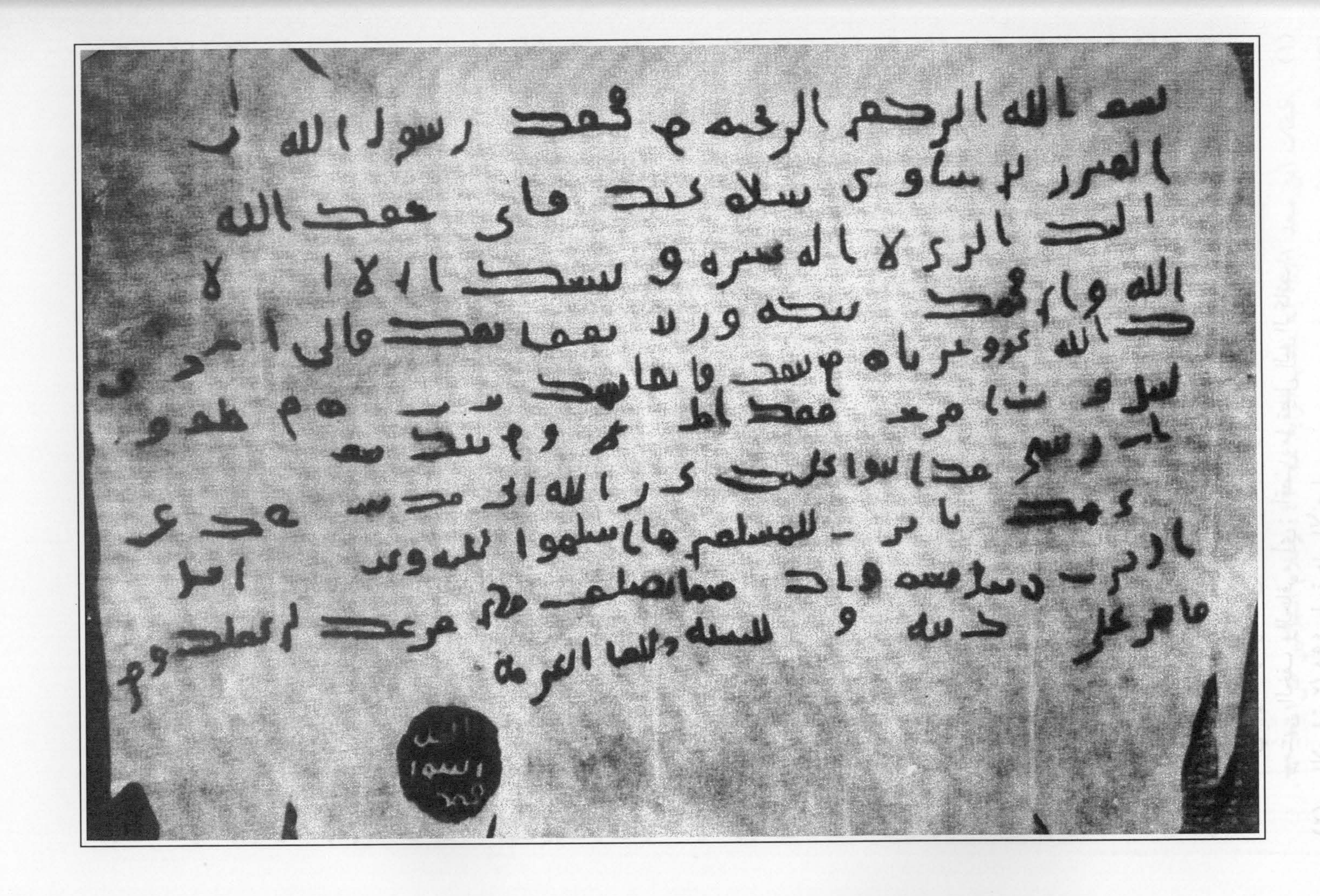
---

(١) المنذر بن ساوى التميمي الدارمي، عامل كسرى على البحرين، كان مجوسياً، وكان يعشر سوق هجر في الجاهلية، أسلم وصدق، وأسلم معه جميع العرب وبعض العجم هناك، واستمر في عمله، لم يصح في قدومه على النبي ﷺ خبر، مات سنة ١١هـ.
والبحرين اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج بين البصرة وعمان، وهي الكويت والمنطقة الشرقية من المملكة السعودية والبحرين وقطر والإمارات المتحدة وسلطنة عمان، ويتبعها مجموعة من الجزر في الخليج، فيها عيون ماء عذب، وهجر قصبة البحرين. قيل: سميت بالبحرين لوجود بحيرة على باب الإحساء، قدرت بثلاثة أميال في مثلها، ماؤها راكد لا يفيض. أسد الغابة ٤/٤١٧، الأعلام للزركلي ٧/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤، معجم البلدان ١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٩.

(٢) إعلام السائلين ص٥٩.

(٣) الجِعْرانة ـ بكسر الجيم وسكون العين وفتح الراء مخففة ـ: موضع بين مكة والطائف، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزوة حنين، وأحرم منها. وقد تكسر العين وتشدد الراء. وانظر: اللسان والقاموس. وقال الشافعي: «المحدثون يخطئون في تشديد الجعرانة وتخفيف الحديبية». فهما لغتان. وانظر: الزاد ١/ ١٢٣.

(٤) وقيل: غادر العلاء المدينة في أوائل السنة السابعة في شهر المحرم، ولا بد أنه وصل البحرين في صفر. وقيل: وجهه النبي ﷺ سنة ثمان. [الزاد ١/ ١٢٣، الأعلام ٧/ ٢٩٣]. =



بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله إ
المنذر بن ساوى سلام عليك فإني أحمد الله
إليك الذي لا إله غيره وأشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فإني أذكرك
الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من
يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح
لي وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا وإني قد شفعتك في قومك
فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن
أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن
نعزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية
فعليه الجزية

○ الرسالة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم، وأسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر[(١)].

○ السفير:

هو العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي، حليف بني عبد شمس، أصل أبيه من حضرموت، لكنه سكن مكة، وحالف حرب بن أمية، والد أبي سفيان، ولد العلاء في مكة، وأسلم في بدء الدعوة، وهو من كتاب الوحي، كان فصيح اللسان قوي البيان ذا حكمة.

ارتبط اسمه بالبحرين منذ السنة السابعة للهجرة، وعاش فيها فترات طويلة، كان مقرباً للمنذر، يعاونه في تصريف أمور الدولة، وبعد وفاة المنذر ولّاه أبو بكر رضي الله عنه على البحرين، ثم أقرّه عمر رضي الله عنه، وقيل: استعمله النبي ﷺ وأقرّه أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما، واستمر إلى أن مات. وقيل: ولّاه عمر رضي الله عنه على البصرة، وفي أثناء السفر إليها مات في الطريق في قرية من أرض تميم على مقربة من أرض الكويت اليوم. توفي سنة ٢١هـ، وقيل: سنة ١٤هـ[(٢)].

= وذكر الزيلعي في نصب الراية ٤/ ٤١٩ أن الواقدي روى بسنده في آخر كتاب الردة عن أبي بكر بن أبي سليمان بن أبي خيثمة قال: بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين لليال بقين من رجب سنة تسع منصرفه من تبوك.

(١) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص١١٣، نشأة الدولة الإسلامية على عهد الرسول ص٣٢٣، نصب الراية ٤/ ٤١٩.
ومنتهى الخف والحافر، أي: أقصى ما تصل إليه الركائب.

(٢) الإصابة ٢/ ٤٩٨ طبعة دار الأنصار.

○ الحوار بين السفير والمنذر:

خرج العلاء بالكتاب إلى المنذر، ومعه نفر فيهم أبو هريرة رضي الله عنه وقال له: استوصِ بهم خيراً. وقال: إن أجابك إلى ما دعوتهم إليه، فأقم حتى يأتيك أمري، وخذ الصدقة من أغنيائهم فردها في فقرائهم[1].

قدم العلاء على المنذر وسلّمه الكتاب، ثم قال له: يا منذر، إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرن عن الآخرة، إن هذه المجوسية شر دين، ليس فيها تكَرُّم العرب، ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم عن أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب ألا تصدقه؟ ولمن لا يخون ألا تأتمنه؟ ولمن لا يُخلف ألا تثق به؟ فإن كان هذا هكذا، فهو النبي الأمي الذي - والله - لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه أمنية أهل العقل، وفكر أهل البصر.

فقال المنذر: قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي، فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين أمنية الحياة وراحة الموت؟ لقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده، وإن من إعظام ما جاء به أن يعظم رسوله، ثم قال: أشهد أن ما دعا إليه حق، وأن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأكرم منزلة العلاء[2].

ثم إن المنذر عرض الإسلام على أهل البحرين، فمنهم من دخل فيه، ومنهم من بقي على دينه، ثم كتب إلى النبي ﷺ رسالة يخبره فيها

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٢٦٣، نصب الراية ٤/٤٢٠، إعلام السائلين ص٦١ - ٦٣.

(٢) الروض الأنف للسهيلي ٧/٥١٩، السيرة الحلبية ٣/ ٣٠٠ - ٣٠١.

بإسلام أهل البحرين، حملها العلاء بن الحضرمي(١).

○ رسالة المنذر إلى النبي ﷺ:

أما بعد: يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجب به ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك(٢).

رجع العلاء بالرسالة، وأخبر النبي ﷺ خبره، فسُرّ بذلك، ثم أمر بكتابة رسالة أخرى، يشرح له فيها بعض الأحكام، وأرسلها مع العلاء أيضاً.

○ الرسالة الثانية إلى المنذر:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله، إلى المنذر بن ساوى. سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إلٰه غيره، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وبعد، فإني أذكرك الله ﷻ، فإنه من ينصح، فإنما ينصح لنفسه(٣)، ومن يطع رسلي، ويتبع أمرهم، فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي أثنوا عليك خير الله، وإني قد شفعتك في قومك(٤)، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٣، نصب الراية ٤/ ٤٢٠، إعلام السائلين ص٦٣.

(٢) ذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس رضي الله عنهما بعد موته، فنسخته فإذا فيه: بعث رسول الله ﷺ، العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، وكتب معه كتاباً إليه يدعوه إلى الإسلام، فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ، إعلام السائلين ص٦٢ ـ ٦٣، وقد ذكرت هذه الرسالة في مجموعة الوثائق السياسية ١/ ١١٥، تاريخ السيرة ص٢٥٥، عيون الأثر ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ٢٨٠، زاد المعاد ٣/ ٦٣، جمهرة رسائل العرب ١/ ٤٦، الرحيق ص٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٣) أي: يشير بالحق والصواب والخير، ويقوله ويتبعه.

(٤) أراد: سوف أتركهم وما يختارون من أجلك وإكراماً لك.

عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك[1]، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية[2].

○ دراسة الرسالتين:

الرسالة الأولى قصيرة مختصرة، مكوّنة من سبع وأربعين كلمة، بما فيها ثلاث كلمات الخاتم، تدعو المنذر وقومه إلى الإسلام، تبدأ بالبسملة، وتنتهي بالتأكيد على انتشار دين الإسلام.

والرسالة الثانية مكوّنة من عشرة أسطر، فيها ٩٧ كلمة بما فيها كلمات الخاتم، يقع الختم النبوي في الجهة اليسرى، وقد غطّى المداد الدائرة بأكملها، وبقيت ثلاث الكلمات المحفورة بلون الرق[3].

---

(١) أي: ما دمت تحكم بالخير والإصلاح، فلن نعزلك.

(٢) وهي الرسالة المصورة الشهيرة وقد ورد نصها في زاد المعاد ٣/ ٦١ ـ ٦٣ و٣/ ٦٩٢ ـ ٦٩٣، مجموعة الوثائق السياسية ١/ ١١٤، إعلام السائلين ص٦٠، عيون الأثر ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ٢٨١، نصب الراية ٤/ ٤٢٠، صبح الأعشى ٦/ ٣٦٨، محمد رسول الله ص١٠٢، الكامل في التاريخ ٢/ ٢١٥، في صحبة النبي ص١٣٨، سفراء النبي وكتابه ورسائله ص٤٠ ـ ٤٨، تاريخ الطبري ٣/ ٢٩.

وفي إعلام السائلين ص٦٠: فأجابه النبي ﷺ بالرسالة التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلا هو، أما بعد، فمن استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له مالنا وعليه ما علينا، ومن لم يقبل، فعليه دينار من قيمة المعافري، والسلام عليكم ورحمة الله، يغفر الله لك». وهو ينقلها عن الخراج ص١٤١، ومجموعة الوثائق ص١١٥. ويقول: هذه هي الثالثة من الرسول ﷺ إلى المنذر، والرابعة هي الطويلة التي تضمنت النصح.

وذكر المعلق على إعلام السائلين ص٦٣، أن القلقشندي قال: ذكر أبو عبيد في كتاب الأموال أن رسول الله ﷺ كتب إلى المنذر: «سلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلا هو، أما بعد، فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، له ذمة الله وذمة الرسول، فمن أحب ذلك من المجوس، فإنه آمن، ومن أبى فعليه الجزية» عن صبح الأعشى ٦/ ٣٧٦، الروض الأنف ٧/ ٥١٩ ـ ٥٢٠.

(٣) جاسم كانو ص٦٠ ـ ٦١.

والملاحظ أن خط هذه الرسالة يشبه إلى حد كبير خط رسالة المقوقس المحفوظة في إستانبول، فلو ثبتت أصالة هذه الرسالة، فهي ورسالة المقوقس مكتوبتان بيد واحدة، أو أن كاتبها احتذى بمهارة صفات الخط في رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس[١].

○ مآل الرسالتين:

لم يعثر أحد على الرسالة الأولى، وإنما ذكرتها دواوين الإسلام، وتناقلت نصها المصادر والمراجع كما سلف.

وأما الثانية، فقد اكتشفت عام ١٨٦٣م حيث نشر الدكتور الألماني بوش فلايشر في مقال نشره في جمعية المستشرقين الألمان ZDMG أعلن فيه أنه عثر على مخطوط جلدي لدى إحدى العائلات السورية، يحتمل أن يكون أصل الرسالة النبوية إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين، ونشر صورته، غير أن درجة التوثيق لم تبلغ مبلغ سابقيه، ويغلب على الظن أنه عثر عليه في دمشق، ثم حُمل إلى وزير المعارف العثماني كمال أفندي، أو بقي لدى آل القوتلي أو آل المرادي في دمشق[٢].

ويغلب على الظن أيضاً أنه حفظ في المتحف البريطاني بوثائق رقم OR ٨٢٨١، وهو الآن في ألمانيا[٣].

وقد أمر سمو أمير دولة البحرين الشيخ عيسى بنقش صورة هذه الرسالة على قطعة من الرخام ثبتت في مطار البحرين الدولي قبل توسعته[٤].

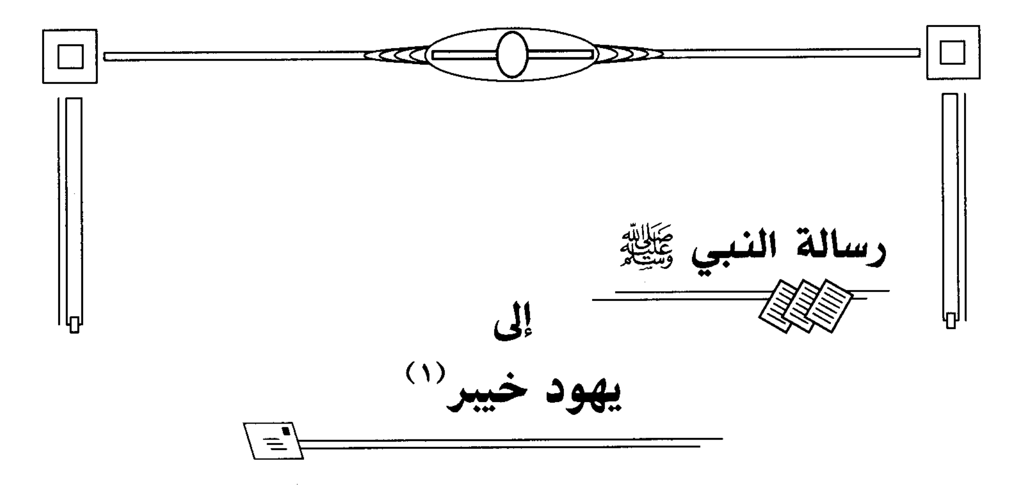
---

(١) الدراسات المتعلقة برسائل النبي إلى ملوك عصره للدكتور عز الدين إبراهيم ص١٥.

(٢) كما ذكر الكتاني في التراتيب الإدارية ١/ ١٦٦، انظر الدراسات المتعلقة برسائل النبي إلى ملوك عصره للدكتور عز الدين إبراهيم ص١٥، مجموعة الوثائق السياسية ١/ ١١٤، الوثيقة رقم ٥٧، عن جاسم كانو ص٦٠ ـ ٦١، الكتابة ص٣٧، خالد ص٦٢.

(٣) مجموعة الوثائق السياسية ١/ ١١٤، الوثيقة رقم ٥٧ عن كانو ص٦٠ ـ ٦١، خالد ص٦٢.

(٤) الدراسات المتعلقة برسائل النبي إلى ملوك عصره ص١٥.



رسالة النبي ﷺ إلى يهود خيبر[1]

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كتب رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، صاحب موسى وأخيه، والمصدق لما جاء به موسى، أَلَا إنّ الله عز وجل قال لكم يا معشر يهود وأهل التوراة - وإنكم تجدون ذلك في كتابكم - إن ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ﴾... إلى آخر السورة.

وإني أنشدكم بالله الذي أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله، إلا أخبرتموناً، هل تجدون فيما أنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم، فلا كره عليكم ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾، وأدعوكم إلى الله تعالى وإلى نبيه ﷺ[2].

---

(١) خيبر على بعد ثمانية برد من المدينة ١٧٠ كيلاً، وبها حصون كثيرة، وكانت في صدر الإسلام دار بني قريظة من اليهود.

(٢) أخرجه محمد بن طولون بسنده في إعلام السائلين ص٩٣ - ٩٥، وذكره الزيلعي في نصب الراية ٤/٤١٩ وقال: رواه أبو نعيم في أوائل كتاب دلائل النبوة وابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق.
وكانت غزوة خيبر بعد عشرين يوماً تقريباً من رجوع النبي ﷺ من صلح الحديبية.

○ شهادة حبر من أحبار اليهود:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه وقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟

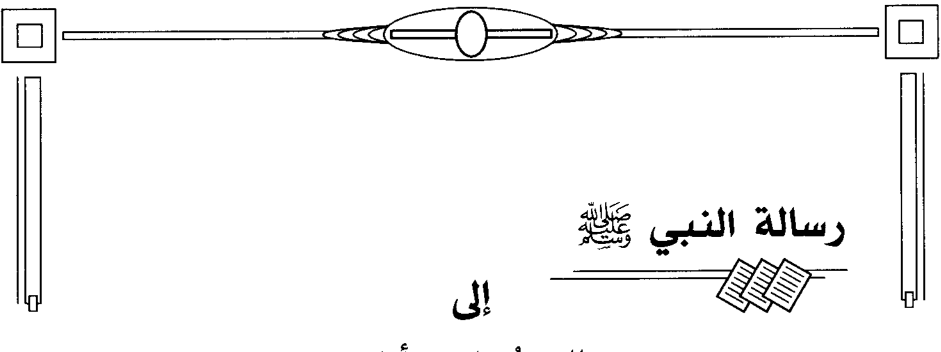
فقال رسول الله ﷺ: «خبّرني بهنّ آنفاً جبريل، أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة، فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة، فسبقها ماؤه، كان الشبه له، وإذا سبقت كان الشبه لها».

قال: أشهد أنك رسول الله. ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قومُ بُهْتٍ، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك.

فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا. فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك - زاد في رواية: فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك - قال: فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه، زاد في رواية: قال ابن سلام: هذا الذي كنت أخافه يا رسول الله [أخرجه البخاري].

وفيه نزلت الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ﴾ [الأحقاف: ١٠].





رسالة النبي ﷺ إلى ملك عُمان وأخيه جَيْفَر وعبد ابني الجُلَندي

أرسلها النبي ﷺ في شهر ذي القعدة، سنة ثمان من الهجرة، مع عمرو بن العاص رضي الله عنه[1].

---

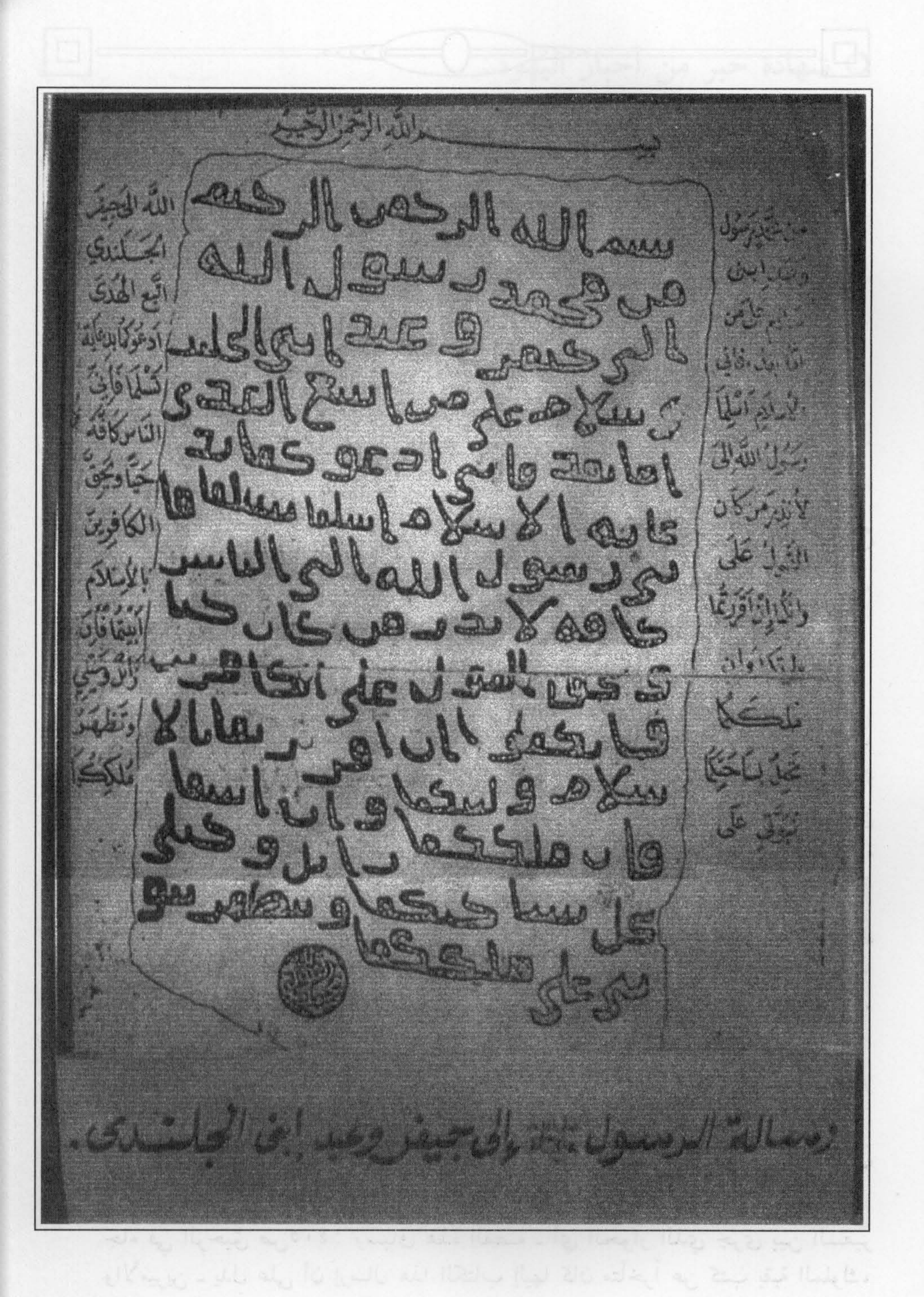
(١) جَيْفَر وعبد ابنا الجلندي، أزديان يمنيان، كانا رئيسين على أهل عُمان وما حولها، كانا نصرانيين، أسلما وصدقا على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ وكان إسلامهما بعد خيبر، ولم يقدما على النبي ﷺ ولم يرياه، لكنهما خليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل عندهم، حتى بلغته وفاة رسول الله ﷺ.

وعُمان ـ بضم العين وتخفيف الميم ـ تقع شرقي الجزيرة العربية على خليج يسمى باسمها، على ساحل بحر اليمن والهند، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع، وقصبة عمان صحارى، كان أهلها من المجوس، وتنتشر القبائل العربية حولها، وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباضية.

الزاد ١/ ١٢٢ ـ ١٢٣، الكامل لابن الأثير ١/ ٣١٣، و٢/ ٢٧٢، الاستيعاب ١/ ٢٧٥، معجم البلدان، طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٢، هداية الحيارى ص٢٨٣.

وقيل: أرسلت في السنة السابعة للهجرة، ويقال: كتب الكتاب أُبيّ بن كعب وختمه.

جاء في الرحيق ص٤٠٥: وسياق هذه القصة ـ أي الحوار الذي جرى بين السفير والأميرين ـ يدل على أن إرسال هذا الكتاب إليها كان متأخراً عن كتب بقية الملوك، والأغلب أنه كان بعد الفتح.



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله
إلى جيفر وعبد ابني الجلندي
سلام على من اتبع الهدى
أما بعد فإني أدعوكما بداعية
الإسلام أسلما تسلما
فإني رسول الله إلى الناس
كافة لأنذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين
فإنكما إن أقررتما بالإ
سلام وليتكما وإن أبيتما
فإن ملككما زائل وخيلي
تحل بساحتكما وتظهر نبو
تي على ملككما

رسالة الرسول ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي.

○ نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، [رسول الله]، إلى جَيْفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولَّيتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما[1].

○ السفير :

عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، يكنى أبا عبد الله، سياسي محنك من دهاة العرب، ولد في مكة عام ٥٠ق هـ، ٥٧٤م، كان في الجاهلية من الأشداء على المسلمين، هو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلم إليهم من عنده من المسلمين، عرف السفر، وركب البحر، ذو تجارة وشأن، أسلم في هدنة الحديبية، وبايع النبي ﷺ مع نفر من أجلّاء الصحابة. كان كاتباً للنبي ﷺ للوحي وغيره، اختاره النبي ﷺ لمعرفته بالمنطقة وحسن تصرفه، واستعمله على عمان، فلم يزل فيها إلى أن توفي النبي ﷺ سنة ١١هـ، فتح مصر وأصبح والياً عليها إلى أن توفي فيها عام ٤٣هـ، ٦٦٤م[2].

---

(١) ورد نص الرسالة في عيون الأثر ٢/ ٢٦٧، الزاد ٣/ ٦٧ و٦٩٣، المصباح المضيء لابن حديدة ٢/ ٥٤ ـ ٢٥٥، نصب الراية ٤/ ٤٢٣، صبح الأعشى ٦/ ٣٨٠ ولم يذكر البسملة، محمد رسول الله ص١١٥، مجموعة الوثائق السياسية ص١٢٨، في صحبة النبي ص١٣٦، سفراء النبي وكتابه ورسائله ص٤١، طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣، تهذيب الكمال ١/ ١٩٨، إعلام السائلين مع الحاشية ص٩٧.

(٢) أسد الغابة ٤/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، الأعلام للزركلي ٥/ ٧٩، مروج الذهب ٢/ ٤٠٢.

○ الحوار بين السفير وابني الجلندي:

قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عُمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً، فقلت له: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال لي: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعو[ك] إلى الله وحده لا شريك له، وأن تخلع ما عبد من دونه، وأن تشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: يا عمرو، إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك؟ فإن لنا فيه قدوة. قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ووددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه، حتى هداني الله للإسلام. قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً. فسألني: أين كان إسلامك؟ فقلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم. قال: وكيف صنع قومه بملكه؟ فقلت: أقروه واتبعوه. قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم[(١)].

قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب. قلت: ما كذبت، وما نستحله في ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت: بلى، قال: فبأي شيء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشي يخرج له خِرجاً، فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال: لا والله، لو سألني درهماً واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقلَ قولُه، فقال له نِياق أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خَرجاً، ويدين ديناً محدثاً؟ قال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه، ما أصنع به؟! والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. قال: انظر ما تقول يا عمرو. قلت: والله صدقتك، ثم قال: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر

---

(١) كأنه يريد إسلام أهل بيته وبعض أساقفته سراً في أول الأمر، ثم شاع ذلك وانتشر حتى وصل إلى هرقل.

بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنى وشرب الخمر وعبادة الحجر والوثن والصليب. قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ﷺ ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً. قلت: إن أسلم ملَّكه رسول الله ﷺ على قومه، فيأخذ الصدقة من غنيهم، فيردها على فقيرهم. فقال: إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل، فقال: يا عمرو، ويُؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ قلت: نعم. فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيقون هذا.

قال: فمكثت أياماً ببابه، وهو يصل إلى أخيه، فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوماً، فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضَبْعَي[1]، فقال: دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه، فقال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففض خاتمه وقرأ حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه. قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: اتبعوه. قال: ومن تبعه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدي الله إياهم أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحَرَجة[2]، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك خيله، وتُبيد خضراءك، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال. قال: دعني يومي هذا، وارجع غداً.

---

(١) الضَّبْع: العضد، والجمع أضباع.

(٢) أي: الغَيضة، مجتمع الشجر في مغيض الماء، اجتماع أشجار كثيرة على أرض واسعة، والجمع غياض وأغياض.

فرجعت إلى أخيه فقال: يا عمرو، إني لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه. حتى إذا كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ههنا، وإن بلغت ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى. قلت: أنا خارج غداً. فلما أيقن بمخرجي، خلا به أخوه فقال: ما نحن فيما ظهر عليه؟ وكل من أرسل إليه قد أجابه.

فأصبح فأرسل إلي، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدقا النبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا عوناً لي على من خالفني[1].

وفي رواية[2]، أن عمراً قال له: إنك وإن كنت منّا بعيداً، فإنك من الله غير بعيد، إن الذي تفرد بخلقك أهلٌ أن تفرده بعبادتك، وألا تشرك به من لم يشرك فيك، واعلم أنه يميتك الذي أحياك، ويعيدك الذي بدأك، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدنيا والآخرة، فإن كان يريد به أجراً فامنعه، أو يميل به هوى فدعه، ثم انظر فيما يجيء به، هل يشبهه ما يجيء به الناس؟ فإن كان يشبهه فسله العيان، وتخبر عليه في الخبر[3]، وإن كان لا يشبهه، فاقبل ما قال، وخف ما وعد. فقال: إنه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يَغْلِب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، وأنه يفي بالعهد، وينجز الموعود، وأنه لا يزال سر

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٦٢ ـ ٦٣، نصب الراية ٤/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤، الروض الأنف ٧/ ٥٢١، ابن سيد الناس ٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨، إعلام السائلين ص٩٣ ـ ٩٦، طبقات ابن سعد ١/ ١ ـ ١٨، السيرة الحلبية.

(٢) الروض الأنف ٧/ ٥٢١.

(٣) أي: اطلب ممن يدّعي الشبه أن يريك بعينك، وتأكد من الخبر.

قد اطلع عليه، يساوي فيه أهله[1]، وأشهد أنه نبي.

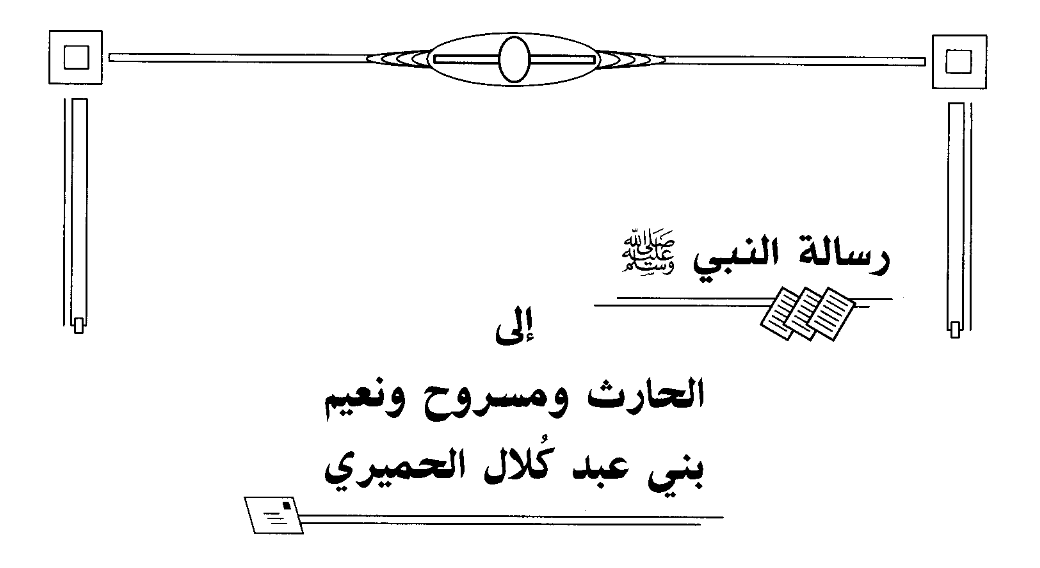
○ مآل الرسالة:

لا يعرف مكان الرسالة الأصلية، غير أن لها صورة في متحف صلالة بعمان، تنشر لأول مرة في كتابنا هذا، والخط الذي كتبت به هو الخط الذي كتبت رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي، التي بحوزتنا، وموقع الختم فيها هو نفس الموقع في رسالة النجاشي تقريباً[2].



(١) أي: لا يزال يخبر بالمغيبات إخباراً دقيقاً، يساوي فيه أصحاب السر أنفسهم.

(٢) وقد أفاد مدير المتحف هاتفياً: أن هذه الصورة وردت إليهم عن طريق وزارة الإعلام، ولا علم له بمكان الرسالة الأصلية.
هذا وقد قال الأستاذ محمد حميد الله في كتابه: الوثائق السياسية ص٧٦: رأيت عند بعض الإخوان في باريس سنة ١٤٠٠هـ فصيلة من جريدة يومية عربية من تونس، فيها تصوير أصل مكتوب النبي ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، ولكن لم يعرف اسم الجريدة ولا تاريخها. وعلقت الجريدة بقولها: «عثر علماء الآثار على النسخة الأصلية..» جاء هذا في أثناء زيارة سفير عمان لدى إيران آنذاك لبعض الدول العربية، وقد وجد الأصل في حوزة هاوي آثار لبناني الجنسية، وقد رفض تسليم المخطوط لسعادة السفير، إلا أنه سمح بتصويره. عن التعليق على هداية الحيارى ص٢٨٤.



رسالة النبي ﷺ إلى الحارث ومسروح ونعيم بني عبد كُلال الحميري

○ نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى الحارث ومسروح ونعيم بني عبد بن كُلال من حمير، سلم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله، وأن الله وحده لا شريك له، بعث موسى بآياته، وخلق عيسى بكلماته، قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: الله ثالث ثلاثة، عيسى ابن الله[1].

○ السفير:

عياش بن أبي ربيعة ـ عمرو ـ بن المغيرة المخزومي، يكنى أبا عبد الرحمن، أسلم قديماً، قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم، هاجر إلى الحبشة، واستشهد يوم اليرموك[2].

---

(١) روى الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى شرحبيل بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال باليمن. أسد الغابة ١/ ٤٠٤، عن خالد ص٩٢، الزاد ١/ ١٢٣ ـ ١٢٤.
الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٨٢، مجموعة الوثائق السياسية د. محمد حميد الله ص١٧٩، الوثائق السياسية لمحمد علي الأكوع ص١٠٣.

(٢) أسد الغابة ٤/ ١٦١، عن الأثر ص٥٤.

○ وصية النبي ﷺ للسفير:

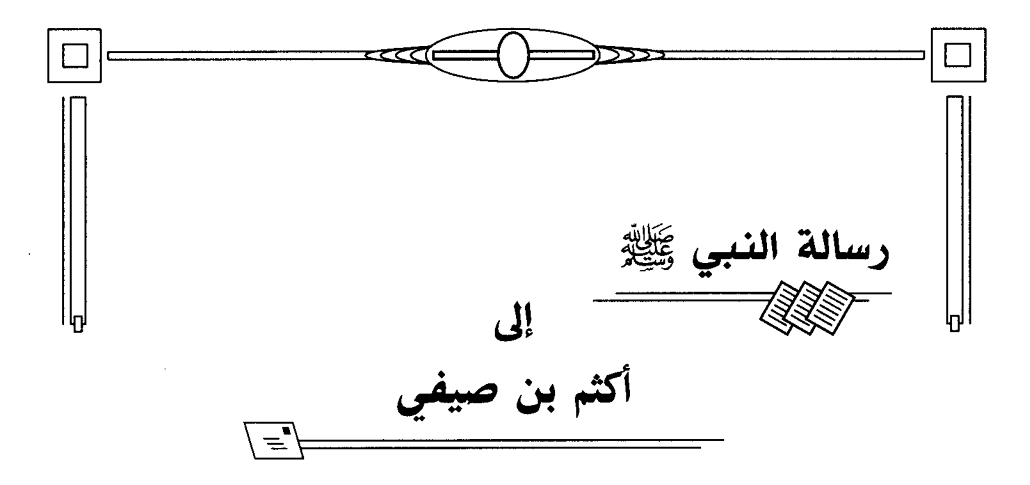
قال النبي ﷺ لعياش حين بعثه بالرسالة: «إذا جئت أرضهم، فلا تدخلن ليلاً حتى تصبح، ثم تطهر فأحسن طُهورك، وصل ركعتين، وسل الله النجاح والقبول، واستعذ بالله، وخذ كتابي بيمينك، وادفعه في أيمانهم، فإنهم قابلون، واقرأ عليهم ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ...﴾، فإذا فرغت منها فقل: آمن محمد، وأنا أول المؤمنين، فلن تأتيك حجة إلا دحضت، ولا كتاب زخرف إلا ذهب نوره، وهم قارئون عليك، فإذا رطنوا فقل: ترجموا، وقل: حسبي الله، آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير، فإذا أسلموا فَسَلْهم قضبهم الثلاثة التي إذا حضروا بها سجدوا، وهي الأثل، قضيب ملمع ببياض وصفرة، وقضيت ذو عُجَر[١]، كأنه خيزران، والأسود إليهم، كأنه من ساسَم، ثم أخرجها فحرقها بسوقهم».

ونفذ عياش وصية النبي ﷺ فاستجابوا لله وللرسول، وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير بإسلامهم، مقدمَه من تبوك، فسر النبي ﷺ وأرسل إليهم مجموعة من الرسل لتعليمهم، وأمّر عليهم معاذ بن جبل رضي الله عنه وأوصاه بوصايا لتبليغها لهم، وزوّده برسالة، بيّن فيها ما يجب عليهم فعله، وبيّن لهم فيها بعض الأحكام، وأوصاهم برسله خيراً. وبعد ذلك أسلموا جميعاً وفارقوا الشرك[٢].

---

(١) العُجْرة: العقدة في العصا، وجمعها عُجَر. وجاء في المثل: «ذكر عجره وبُجَرَه» أي: ذكر عيوبَه، ظاهرها وباطنها.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٨٣.



رسالة النبي ﷺ إلى أكثم بن صيفي

كان أكثم[1] حكيم العرب ومقدماً فيهم، ولما بلغه ظهور رسول الله ﷺ أراد أن يأتيه، فأبى عليه قومه، فبعث رسولين إلى النبي ﷺ فلما وصلا قالا: نحن رسولا أكثم، وهو يسألك: من أنت؟ وما أنت؟ وبِمَ جئت؟ فقال النبي ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهما الآية: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]. وكتب له كتاباً، فعادا وأخبرا أكثم بذلك، فأمر قومه بالمسارعة إلى اتباع النبي ﷺ.

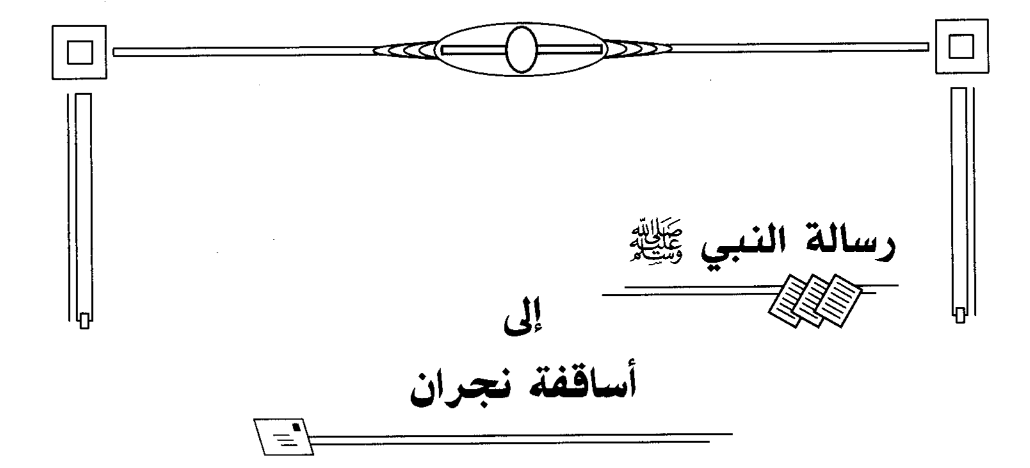
○ نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى أكثم بن صيفي، أحمد إليك الله، إن الله أمرني أن أقول: لا إلٰه إلا الله، أقولها وآمر الناس بها، الخلق خلق الله، والأمر كله لله، خلقهم وأماتهم، وهو ينشرهم، وإليه المصير، أدبتكم بآداب المرسلين، ولتسألن عن النبأ العظيم، ولتعلمن نبأه بعد حين[2].

---

(١) أكثم بن صيفي بن رباح التميمي، كان حكيم العرب ومقدماً فيهم، وهو من المعمرين، عاش ١٩٠ سنة.

(٢) مكاتيب الرسول ص١٥٥.



رسالة النبي ﷺ إلى أساقفة نجران

جاء وفد من نصارى نجران[1] إلى المدينة المنورة في السنة العاشرة من الهجرة، وجادلوا النبي ﷺ في حقيقة المسيح ابن مريم عليه السلام فدعاهم إلى المباهلة، فأسلم بعضهم، وأقرّ بأن محمداً ﷺ هو النبي المنتظر، وبقي أكثرهم على نصرانيته، ورضي بدفع الجزية، فكتب النبي ﷺ لهم الكتاب التالي:

○ نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي، إلى الأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم[2] ومن تبعهم، إن لهم ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، من بيعهم[3] وصلواتهم ورهبانيتهم، وجوار الله

---

(١) نجران: مدينة في شمال اليمن على حدود عسير. وهي الآن ضمن المملكة العربية السعودية.

(٢) الأسقف: رئيس النصارى الديني، وهو فوق القسيس والمطران.
الراهب: من اعتزل الناس إلى دير طلباً للعبادة، فالرهبان عُباد النصارى، كانوا يتخلون عن الاشتغال بالدنيا، وينقطعون للعبادة.
ويطلق الكاهن عند اليهود والوثنيين على من يقيم الذبائح والقرابين، وعند النصارى على من ارتقى إلى درجة الكهنوت. والكهنوت: تقديس جسد المسيح ودمه في تلاوة القداس وحل الخطايا. [المنجد].

(٣) البيع: جمع بِيعة، وهي كنيسة النصارى. المفردات للراغب.

ورسوله، لا يغيّر أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغيّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه، على ذلك جوار الله أبداً ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم، غير مثقلين بظلم ولا ظالمين. وكتبه المغيرة بن شعبة[1].



---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٦٦، زاد المعاد ٣/ ٤١.
والمغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها، وشهد بيعة الرضوان، ولاه عمر رضي الله عنه الكوفة، وأقره عثمان رضي الله عنه ثم عزله، مات سنة ٥٠هـ. الإصابة ٣/ ٤٥٢.

المصادر والمراجع

١ - **زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم**، تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط، طبعة عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢ - **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، لابن القيم، تحقيق د. محمد أحمد الحاج، طبعة دار القلم عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. ونسخة أخرى طبعت في مطبعة المدينة. الرياض، توزيع إدارة البحوث.

٣ - **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار**، لابن الديبع الشيباني، مطابع قطر الوطنية عام ١٩٨٢م.

٤ - **تهذيب سيرة ابن هشام**، عبد السلام هارون.

٥ - **مختصر سيرة الرسول**، لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، توزيع إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

٦ - **جامع الأصول لابن الأثير**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبعة عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٧ - **الرحيق المختوم**، لصفي الرحمن المباركفوري، طبعة رابطة العالم الإسلامي عام ١٩٨٠م.

٨ - **إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين**، للإمام محمد بن طولون الدمشقي، طبعة مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م، تحقيق محمد الأرناؤوط.

٩ - **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، لمحمد حميد الله، طبعة دار النفائس بيروت عام ١٩٨٧م.

١٠ - **الدراسات المتعلقة برسائل النبي إلى ملوك عصره**، د. عز الدين إبراهيم.

١١ - **الكتابة والكتاب في عهد الرسول**، لمحمد جمعة عبد الصمد عابد، القاهرة دار الأرقم عام ١٩٩١م.

١٢ - **الرسائل النبوية الأولى دعوة إلى الإسلام**، د. عبد اللطيف جاسم كانو، البحرين ١٩٩٧م.

١٣ - **رسائل النبي إلى الملوك والأمراء**، خالد سيد علي، دار التراث، الكويت عام ١٩٨٧م.

١٤ - **أضواء على المركز الثقافي بصلالة**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان عام ١٩٩٤م.

١٥ - **الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي إلى الملوك والقادة**، أحمد محمد العقيلي، الرياض ١٩٩٣م.

الفِهْرِس